

الترجمة العربية
من مدرسة بغداد إلى مدرسة طليطلة

د. حسن بحراوي

كتاب المجلة العربية
239

الترجمة العربية
من مدرسة بغداد إلى مدرسة طليطلة

دراسة في التاريخ والنظرية

تأليف

د. حسن بحراوي

كتاب المجلة العربية

239

رئيس التحرير

محمد بن عبدالله السيف

الرياض – طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين) – شارع المنفلوطي
هاتف: 4767345 – 4777943 فاكس: 4766464
ص.ب 5973 الرياض 11432
المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com
info@arabicmagazine.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ المجلة العربية، 1437هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
بحراوي، حسن
الترجمة العربية من مدرسة بغداد إلى مدرسة طليطلة: دراسة في التاريخ والنظرية./ حسن بحراوي .- الرياض، 1437هـ
108ص؛ 14 × 21سم.- (كتاب المجلة العربية؛ 239)
ردمك: 4-84-8168-603-978
1 - الترجمة العربية - تاريخ 2 - التعريب أ.العنوان ب.السلسلة
ديوي 418.024 1437 / 9612

رقم الإيداع: 9612 / 1437
ردمك: 4-84-8168-603-978

المحتويات

تقديم 7
الترجمة عند العرب: من النشأة إلى مدرسة بغداد 11
الترجمة في العصر الأموي 13
الترجمة في العصر العباسي 15
دور النخب في دعم جهود الترجمة 25
أشهر مترجمي العصر العباسي 27
أسلوب مدرسة بغداد في الترجمة 40
بداية التنظير العربي للترجمة 45
الترجمة في عصر الانتقال.. مدرسة طليطلة 55
فئات المترجمين الأندلسيين 61
مترجمو الحقبة الانتقالية: (بين القرنين 12و13) 68
الألفونسيون: مترجمو القرن 13 70
إشكالية الترجمة التعليقية 74
مشكلات الترجمة خلال القرن 12 79
مشكلات الترجمة في القرن 13 82
المترجمون اللاتينيون والألفونسيون: المختلف والمؤتلف 85
المراجع 91
سيرة ذاتية 93
قائمة كتاب المجلة العربية 95

تقديم

مـن الثابت لدى الباحثين أن الغموض الذي ظـل يحيط بدور الترجمة يعود في جـزء كبـير منه إلى قلـة المعرفة بتاريخهـا الطويل، خصوصـاً إلى واقع أن المتوافـر مـن التأملات حولها يتسـم بالندرة النسبية، وإلـى أنها جاءت مختصـرة في الغالـب، وتتفاوت من حيـث دقتها وانسجامهـا. وقد سبق أن لاحـظ ميشال بـالار (1992) بـأن المؤلفـات المركزية في نظريـة الترجمة تُغيّـب العنصـر التاريخـي، أو لا تأبه له بمـا يكفي من الجديـة والاهتمام. يستـوي في هذا الصنيع الآخذون بالمنهـج اللساني أو الهيرمونتيكي، وأولئك الذيـن اقترحوا أشكالاً من التحقيبات غـير الدقيقة بشأن التطور التاريخي للترجمـة. وبالنسبة إليه فـإن جهود عموم الباحثـين الغربيين لا تخرج عن ثلاث طرائق في التعامل مع المعطيات التاريخية، هي على التوالي:

– جمعها ضمن فصل مستقل ذي طابع سردي يستند إلى ترتيب كرونولوجي على هذا القدر أو ذاك من الوضوح.

– توزيعها عبر فصول مختلفة أو في شكل إحالات في متن الكتاب.

– استعمال المعلومات التاريخية لدعم دراسة عامة حول الترجمة أو مناقشة قضية بعينها[1].

وفي جميع الأحوال يشهد هذا الوضع من جهة على أن ضعف الذاكرة التاريخية للترجمـة ناجم في المقـام الأول عن قلة ما يسد مسـد البحث في ماضيها على نحـو منهجي ناجع وذي وجاهة، ومن جهـة أخرى على ذلك النزوع غير المبرر إلى عزل الترجمة عن محيطها الذي تنبثق منه وتترعرع فيه.

(1) Ballard. Michel: De cicéron à benjamin. étude de la traduction. Presses universitaires de Lille. 1992. pp11 – 14.

والحـال أنـه لا يجوز لنا فصـل تاريخ الترجمة عـن تاريخ اللغـات والآداب والثقافات، بل عن تاريخ الديانات والأمم، شريطة ألا يؤدي ذلك إلى الخلط بين هذه التواريخ وإدماج بعضها في بعض، بل بهدف إبراز أنه في كل مرحلة، وفي كل مجال تاريخي معطى؛ يتقاطع تاريخ الترجمة مع تاريخ الأدب واللغات ومختلف التبادلات بين الثقافات والألسنة(1).

وإذا كان بعض الباحثين يأنفون مـن ممارسة التحقيـب التاريخي، بسبب مـا قد ينطـوي عليه من مـآزق، ليس أقلها خطـر الرتابة ونقائص التتابع الكرونولوجـي؛ فـإن عدم الأخذ به بـأي مستوى من المستويـات يتضمن هو كذلـك قـدراً من الإخـلال يشـوب فهمنا للظاهـرة الترجميـة، في أبعادها التزامنية والوصفية معاً.

وبالنسبـة لنا، فـإن مأزق التحقيب يمكن حله بالقبـول المبدئي بالتقسيمات التاريخيـة المتداولة (العصـور القديمة، العصر الوسيـط، عصر النهضة، القـرن السابع عشر والقـرن الثامن عشر.. وهلم جـرا)، واتخاذها سبيلاً إلى الإمساك بأفـكار وآراء مترجمي الماضي بغاية رصد حصيلة المواجهات بـين التصورات المتباينـة لقضايا الترجمة وتفكيـك الأواليات التي تحكمت في إنتاجهـا، وصـولاً إلى تشكيل فكرة تقريبية عـن الكيفية التي تنجب فيها السيرورة التاريخية تأملاً نظرياً من أي نوع.

وليأخـذ هـذا التأريـخ الـذي نقترحه للترجمـة العربيـة طابعـه الإجرائي والوظيفي، فقد جعلناه على مرحلتين تختص كل واحدة منهما بحقبة معينة، وفي نفس الوقت بلون من الممارسة الترجمية، وذلك بحسب المنطق التاريخي الذي تحكم في تسلسل هذه الحقب.

(1) Berman، Antoine: L'épreuve de l'étranger، Culture et traduction dans l'Allmagne romantique، Paris، Gallimard، 1984، pp. 12 – 14.

أمـا الحقبة الأولى فهـي التي ظهر فيها «بيت الحكمـة» ببغداد بين القرنين التاسـع والعاشر الميلاديين، وقـد كان لحركة الترجمة إلى العربية دور مهم في الحفـاظ على الـتراث العلمي والفلسفـي اليوناني والفارسـي والهندي، عن طريق ترجمتـه وتفسيره والتعليق عليه. وتمثـل الحقبة الثانية «مدرسة طليطلـة» الأندلسيـة التي قامت بنفس الـدور بين القرنـين العاشر والثاني عشر الميلاديـين، عندما أعادت النقول العربية والعبرية إلى اللغة اللاتينية والقشتاليـة، مما أسهم في تأهيل الفكر الأوروبي للخروج من سبات العصر الوسيـط، وخوض معركـة النهضـة. وقـد أدّت هاتـان الحقبتـان العربية والأندلسية في رأينا المتواضع إلى بروز وتبلور أنماط من الوعي متباينة، ولكن متكاملـة على مستوى التفكير في ممارسة الترجمة، وفي علاقتها بالتحولات التاريخيـة والثقافية والأدبية، ومن حيث الإعراب عن المبادئ والمعايير التي تخترقها وتؤثر في اشتغالها، قبل أن تقوم بطرحها في سياق نظري منسجم، لم يتوقـف عـن غرسهـا في صلـب الممارسة، لاستمـداد منطلقـات جديدة تحررها من الرؤية الوثوقية وتفتحها على آفاق بديلة.

إن هنـاك كثيراً من الفوائـد الأساسية المنتظرة من تاريخ الترجمات، وعلى رأسهـا أن يعطـى لنظريـة الترجمـة ولممارسـة الترجمة طابعهمـا النوعي الـذي يحملنا على الاعتراف، عـبر عملنا على التاريخ العام للترجمات: بأن النشاط الترجمي كان، واليوم أكثر من أي وقت مضى، هو المفتاح لكل أبواب التواصل الإنساني في العالم[1].

إن تاريخ الترجمات يمكنه أن يقدم خدمات كبيرة لنظرية الترجمة نفسها، كمـا هو متوقع. فكثير من المنظرين يتأملون في ظواهر هي من باب الخيال،

(1) Horguerlin. Paul : Anthologie de la manière de traduire. Montréal، Linguatch. 1981. .

لأنها لا تمت إلى الواقع الملاحظ بصلة، أو يعودون إلى وقائع مختارة لتطابقها مع نظرياتهم. والحال أن الظواهر الصالحة للتأمل هي تلك التي تكون منبثقة عن واقع تاريخي ملموس.

وكما نلاحظ من عنوان هذا الكتاب، فغايته هي السعي إلى جعل المقاربة التاريخية تحقق الربط بين الحقبتين، البغدادية والطليطلية، وتتابع رحلة نشوء التفكير الترجمي الذي استغرق زمناً مديداً لكي يظهر بمظهر التأمل الوجيه والناجع، ويغادر منطقة المحاولة والتجريب إلى لحظة النضوج والاستقرار.

الترجمة عند العرب: من النشأة إلى مدرسة بغداد

لقد حث النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه على أن يتعلموا لغة غير اللغة العربية، لمّا دعت الحاجة إلى ذلك، بعد انتشار الإسلام في الأمم والأصقاع. ففي «البخاري» عن زيد بن ثابت قال: «أُتيَ بي للنبيَّ صلى اللّه عليه وسلم مَقدَمه المدينة، فقيل: هذا من بني النجار، وقد قرأ سبع عشرة سورة، فقرأت عليه فأعجبه ذلك، فقال: تعلم كتابَ (كتابة) يهود، فإني ما آمنهم على كتابي، ففعلت، فما مضى لي نصف شهر حتى حذِقته، فكنت أكتب له إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له.» وفي حديث آخر «عن زيد بن ثابت قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا عليَّ أو ينقصوا، فتعلم السريانية. فتعلمتها في سبعة عشر يوماً»[1].

وقريب من ذلك يذكر الخزاعي التلمساني (ت789هـ/1387م.) أن زيد بن ثابت «كان يكتب للملوك ويجيب بحضرة النبي، صلى اللّه عليه وسلم، وكان ترجمانه بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن[2]».

وتدلنا هذه الوقائع على أن عصر النبوة قد عرف الترجمة، على الأقل في جانبها الإداري والديبلوماسي - إذا صح التعبير، وأن مجتمع المدينة حيث نشأت الدعوة الإسلامية كان يضم ساكنة متعددة اللغات وبالتالي تحتاج في معيشها إلى التواصل والتفاهم، أي عملياً إلى الترجمة.

ولكن عموم المصادر التاريخية لا تسعفنا في تطوير فكرة دقيقة عن وجود

---

(1) أمين. أحمد: ضحى الإسلام. دار المعارف. القاهرة. 1956 . ص 142.

(2) التلمساني. الخزاعي: تخريج الدلالات السمعية. القاهرة. 1981 . ص435.

وممارسة الترجمة على نحو منتظم ومعترف به في هذه الحقبة، وإن كنا نحدس أن عصر الفتوحات الإسلامية الأولى - لا شك - حمل المسلمين على التواصل مع أهل البلاد المفتوحة في العراق والشام وإفريقية وغيرهم من الذين لم تكن اللغة العربية هي لسانهم، ومن هنا كذلك احتمال وجود عناصر مزدوجة اللغة في الجيش والدولة تنهض بمهمة الترجمة بين الأطراف المختلفة.

من المؤكد أيضاً أن استمرار تدفق العناصر غير الناطقة بالعربية على البلاد الإسلامية، واتساع رقعة الإمبراطورية العربية؛ قد فتح الباب أمام نوع من التعدد اللغوي، وفي أقل الأحوال شجّع على أشكال من الازدواج اللغوي (فارسي، سرياني، يوناني..إلخ) كان من نتائجه لدى الناس حصول الوعي باختلاف الألسنة وأهمية اتخاذ الوسيط لتحقيق التفاهم بين المتحدثين، وأكثر من ذلك جميعاً نشوء الرغبة في نقل ما يُنتفع به من تلك اللغات إلى العربية.

يضاف إلى ذلك أن قرار تعريب الدواوين في الدولة الإسلامية الناشئة، خلال القرن الأول الهجري؛ كان قد فتح باب الترجمة في هذا العصر، من خلال تلبية الحاجة إلى تعريب الإدارة، وتمكين العاملين فيها من جهاز من الألفاظ والمصطلحات يغطي المجالات المستجدة على اللغة العربية حديثة العهد بالتنظيم الإداري(1). وهو الأمر الذي يعني انخراط الإنسان العربي لأول مرة في تجربة ترجمية نوعية، من حيث المدى والجهد، لارتباطها بوظيفة نفعية وإستراتيجية -إذا صح المعنى، ولكنها في جميع الأحوال كانت خطوة عملاقة تدشن لمسار طويل كانت تلك بدايته.

(1) البلاذري. أحمد بن يحيى : فتوح البلدان. ليدن. 1866. ص 197. 196.

الترجمة في العصر الأموي

يقول ابن النديم في ترجمة خالد بن يزيد: «كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان، وكان فاضلاً في نفسه، وله همة ومحبة للعلوم، وهو الذي أمر بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة[1]».

وتضيف المستعربة الألمانية زيغريد هونكه بصدد خالد بن يزيد: «ولم يسترح خالد لأصدقائه، الكتب، وهم يتحدثون معه بلغات غريبة عنه، فبدأ بدعوة المتعلمين من الإغريق والعرب من الإسكندرية وعهد إليهم بترجمة أعمال يونانية ومصرية إلى اللغة العربية، مصراً بذلك على أن يتعامل مع الثقافات المختلفة بلغته هو..»[2].

وإذا كان المؤرخون من العرب والأجانب يُجمعون على أن الأمير خالد بن يزيد هو الذي كان وراء الترجمات الأولى التي تمت في القرن الأول الهجري من خلال سعيه إلى الحصول على مصنفات الإغريق والسريان، وبخاصة في مجالات الطب والنجوم والكيمياء، وعبر دعوته إلى نقلها إلى العربية؛ فإن ابن خلدون يشذ عن هذا الإجماع عندما يشكك في هذا الأمر، ويرى أنه بعيد الاحتمال: «من المعلوم البيّن أن خالداً كان من الجيل العربي، والبداوة إليه أقرب، فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة، فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمزجتها. وكتبُ الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم اللهم إلا أن يكون

---

(1) ابن النديم: الفهرست. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت. د. ت. ص242.

(2) هونكه. زيغريد: شمس العرب، العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، 1969، ص380.

خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك الصناعية تشبّه باسمه فممكن..»[1].

على أن الذين أرخوا للترجمة في هذا القرن، كابن جلجل والقفطي، يتفقون على أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99/101هـ) هو الأول من خلفاء بني أمية الذي كان قد أبدى اهتماماً بالترجمة، من خلال تكليفه للطبيب اليهودي البصري ماسرجويه بنقل كناش في الطب لأهرن القس من السريانية إلى العربية. وهو «كناش فاضل من أفضل الكنانيش القديمة[2]».

وإذا تجاوزنا هذه المعلومات الشحيحة، وغير المدعمة بما يكفي من الدلائل؛ يبقى أن الترجمة خلال القرن الأول للهجرة كانت تعيش بدايتها الأولى، بما يعني ذلك من احتمالات التعثر والمراوحة، وما تفيده من كونها مهّدت لما سيأتي بعدها في العصر اللاحق مع العباسيين.

غير أننا نمسك من كل ذلك بفكرة جنينية، ولكن ذات أهمية قصوى، عن انخراط أطراف رسمية تنتمي لبيت الخلافة في تدشين حركة الترجمة في المجال العربي، وهي الظاهرة التي ستتقوّي مع مجيء خلفاء بني العباس، وبخاصة منهم الخليفة المأمون الذي سيبرز اسمه كأحد الرعاة المباشرين والأساسيين لحركة الترجمة في القرن الثالث الهجري.

(1) ابن خلدون: المقدمة. دار الكتب. بيروت. 1967. ص505.

(2) ابن النديم: نفس المرجع. ص 142.

الترجمة في العصر العباسي

مـن خلفـاء بني العباس لم يهتـم بأمر الترجمة، ونقل كتـب القدماء؛ سوى ثلاثـة خلفاء: أولهـم الخليفة المنصـور، وبعده هـارون الرشيـد، وآخرهم وأبرزهم المأمون الذي سيشتهر بجهوده الكبيرة في الميدان.

أمـا الخليفة أبو جعفـر المنصـور (136/158هـ - 753/774م) فقد كان أول خليفـة في العصـر العباسي يوجّه اهتمامه لمجـال الترجمة، ويقوم على رعايـة أهلهـا. وقد قاده إلى ذلـك افتتانه بعلم النجـوم ورغبته المشبوبة في الوقوف على مـا كتبه القدماء في وصفها وبيان حركتها ومواقيتها، فكان أن أمـر مترجميه بنقل كتاب أقليدس المسمّى "كتـاب الأصول والأركان"، وهو أول مـا ترجم من مؤلفات اليونانيين في أيام هـذا الخليفة، ثم أتبعه بكتاب "السنـد هنـد"، وهو مؤلف هنـدي يُعنى بعلم النجوم، ثـم تتالت بعد ذلك المؤلفات التي أشار بترجمتهـا مثل كتاب "كليلة ودمنة" ذي الأصل الهندي الذي نقله من الفارسية عبدالله بن المقفع، وأتبع ذلك بترجمة أمهات الكتب العلميـة اليونانية لأرسطوطاليس، وكتـاب "المجسطي" لبطليموس.. وكتب أخرى في علوم التنجيم والحساب والطب..إلخ

وينفـي جرجي زيدان في «تاريخ التمدن الإسلامي» أن تكون قد تُرجمت أيام المنصور مؤلفات الفلسفـة والمنطق، عندما يقول عن هذا الخليفة بأنه «أول مـن عني بنقل الكتـب القديمة، ولكنه اقتصر منها علـى النجوم والهندسة والطب، أما الفلسفة والمنطق وسائر العلوم العقلية فترجمت أيام المأمون[1]».

ولكـن آراء المؤرخين من القدماء كالمسعـودي في «مروج الذهب»، والمحدثين

---

(1) زيدان. جرجي: تاريخ التمدن الإسلامي. القاهرة. 1958. ج2. ص 105.

ككرد علي في «الإسلام والحضارة العربية»؛ تؤكد أن ابن المقفع ومترجمين آخرين قد نقلوا إلى العربية في عهد المنصور عدداً من مؤلفات المنطق والفلسفة، وإن لم يصلنا معظمها.

ومن ذلك كذلك أن صاعد الأندلسي يذكر أن ابن المقفع قد ترجم كتب أرسطوطاليس المنطقية الثلاثة، وهي كتاب «قاطاغورياس» وكتاب «باري أرمنياس» وكتاب «أنالوطيقا». كما اعتبره «أول من ترجم من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية»[1].

كما ترجم أبو يحيى البطريق أيام المنصور كتباً كثيرة في الطب، منها مؤلفات أبقراط وجالينوس[2]. وترجم ابن البطريق يحيى كثيراً من مؤلفات الأوائل، ومنها كتاب أرسطو «كتاب السياسة في تدبير الرياسة»[3].

ونقل الحجاج بن يوسف بن مطر كتاب «أصول الهندسة» لأقليدس نقلين، أحدهما يعرف بالنقل الهاروني نسبة لهارون الرشيد، والثاني بالنقل المأموني نسبة للخليفة المأمون[4].

وإجمالاً، فقد شهدت حركة الترجمة في عهد أبي جعفر المنصور انطلاقتها الرسمية الأولى في هذا العصر، وساعد على ذلك عنصر حاسم هو الاهتمام الشخصي للخليفة بموضوعها ودعمه المادي لمشاريعها ورعايته للقائمين بها. وإذا كان هذا الأمر إيجابياً من النظرة الأولى لكونه يسجل انخراط أرباب السلطة الوقتية في شؤون الترجمة وإسهامهم في النهوض

(1) الأندلسي. صاعد: طبقات الأمم. تحقيق لويس شيخو. بيروت. 1967. ص65.

(2) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق نزار رضا. دار مكتبة الحياة. بيروت. 1965. ج2. ص174.

(3) ابن جلجل. أبو داود: طبقات الأطباء والحكماء. تحقيق فؤاد سيد. القاهرة. 1955. ص67.

(4) ابن النديم: نفس المرجع. ص 252.

بالثقافة؛ فإنه في جانب منه كان مدعاة للأسف، ذلك أن ارتباط الترجمة بالسلطة في أوضاع معينة يفترض فك هذا الارتباط في أوضاع أخرى.

وذلك بالذات ما حدث في أعقاب رحيل هذا الخليفة (158هـ/ 774م)، وصعود خليفتيه المهدي (158/169هـ - 774/785م) والهادي (169/170هـ - 785/786م) اللذين أدارا ظهرهما لهذا النوع من النشاط الثقافي، وعاملا أصحابه بمزيد من الإهمال وعدم الاكتراث، الشيء الذي أدى إلى تراجع ثم ركود حركة الترجمة في عهدهما.

ولحسن الحظ فقد قيّض لهذه الحركة أن تستعيد حيويتها مجدداً بعد عِقد من التوقف ومراوحة المكان، وذلك بتولّي الخليفة هارون الرشيد (170هـ/786م).

ونحن نعرف المكانة التي جعلها الرشيد للعلوم والآداب في مشروعه لبناء الدولة العباسية القوية، والتي دشن بها الصورة الجديدة للإمبراطورية الإسلامية التي ستظل خالدة في الأذهان ليس فقط من خلال المنجزات العسكرية والحضارية الشامخة، ولكن أيضاً وأساساً عبر الإنتاج الأدبي والتخييلي الذي وصل مداه إلى العالم الغربي، خصوصاً بعد ترجمة كتاب «ألف ليلة وليلة» إلى اللغات الأوروبية، ومنها ترجمة غالان الشهيرة إلى الفرنسية في القرن الثامن عشر، وترجمة ريشارد بورتن إلى الإنجليزية في القرن التاسع عشر.

ومع أن الرشيد قد استفاد من التراكم النوعي الذي تم في عصر المنصور، فإنه لم يقنع بالاقتصار على نفس المنهج في العمل، وإنما قرر أن يبدأ من البداية، أي من استنفار كل الوسائل المادية والمعنوية لضمان النجاح لمشروعه العلمي والثقافي، وفي مقدمتها تشكيل وفودٍ من العلماء أوكل إليها

الذهـاب إلى إمبراطورية الروم، بحثاً عـن المخطوطات اليونانية واقتنائها، مهما كلّفه ذلك من ثمن. ثم شجع المترجمين أفراداً وجماعات على مباشرة أعمـال الترجمـة، وأجزل لهم العطاء بكل السخاء المعـروف عنه، كما حفز رجال الدولة وكبراءها على الانخراط في هذه الحركة، وحثهم على دعمها، بمـا يجعل منهـا مشروعاً جماعيـاً لا يخص الخليفة وحده بـل يكون واجب الجميع.

وقد صادفت هذه الدعوة هوى لدى العديد من الأسر الكبرى، وفي مقدمتهم آل البرامكـة ذوو الأصول الفارسية الذين كرسوا جهوداً جبارة لدعم حركة الترجمـة، وبخاصة من الفارسية إلـى العربية، وبرز من بينهم وزير هارون الرشيـد يحيى بن خالـد البرمكي الذي عني بتعريب العديـد من المؤلفات، وأعاد مراجعة كثير من النقول التي تمت في عهد المنصور مثل «كليلة ودمنة» وكتاب «المجسطي».. وذلك بهاجس أن تصبح الترجمة أكثر دقة وإتقاناً عما كانت عليه في السابق.

ومـمـا ميّـز أعمال الترجمـة خلال هذه الحقبـة أن القائمين بهـا كانوا في معظمهم من النساطـرة المسيحيين، ممن يتقنون اللغات الأساسية في ذلك العهـد، وهي اليونانية والعربية والفارسيـة والسريانية. وكانت هذه الأخيرة تعتـبر اللغـة الوسيطة في كثير مما يجـري نقله إلى العربيـة، لانتشارها في أوساط المتعلمين وسهولة التواصل بها.

وعمومـاً سـوف ترتقـي ممارسـة الترجمة خـلال هـذا القرن كمـاً وكيفاً، مستفيدة من التطور الـذي أصاب الأدب والثقافة، فيتحقق لها بذلك مزيد من الانتشار والنضوج.

وسيكون للخليفة المأمون (198/218هـ – 813/833م) دور المحرك لقاطرة

الترجمة خلال مستهل القرن التاسع الميلادي، الثالث الهجري، والذي اعتبر عصرهـا الذهبي بلا منازع. وقد تمّ ذلك للمأمون بفضل رعايته الشخصية لمشـروع الترجمـة الـذي استكمل فيه مـا كان قد بـدأه أسلافـه، وبخاصة المنصـور والرشيـد، وتأسيسه للمدرسـة العلمية الذائعـة الصيت المعروفة بـ«بيت الحكمـة» في بغداد، واتخاذها مركزاً للبحـث والترجمة والتأليف في مختلف فروع المعرفة الرائجة في تلك الحقبة.

وبعـد أن يذكر ابن النديم الحلم الذي رآه المأمون في منامه والذي دعاه فيه أرسطوطاليس إلى مزيد الاهتمام بالمعرفة، يشير إلى اتخاذه قرار الانكباب علـى مشروعـه الترجمي الهائل، فيقـول: «فإن المأمـون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات، إذ كتب المأمون لملك الروم يسأله الإذن في إرسال مجموعة من العلوم القديمة المخزونة ببلد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع. فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن يوسف بن مطر وابن البطريق وسلم صاحب بيـت الحكمة وغيرهم، فأخذوا مما وجدوا مـا اختاروا فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل[1]».

ومعلـوم أن هـذا القـرن كان قد شهد بـروز كتاب عرب عظـام، أسهموا في النهوض بالمجال الثقافي والفلسفي والعلمي، وحققوا للفكر العربي الوسيط موقـع الصـدارة التي لا ينازع عليهـا في العالم المتحضر قاطبـة، من أمثال الجاحـظ والكنـدي والخوارزمـي.. وظهـر مترجمـون أفذاذ أثـروا حركة

(1) يقـول ابـن النديم: «أحد الأسباب في ذلك أن المأمون رأى في منامه كأن رجلا أبيض اللون مشرباً بحمرة واسـع الجبهـة مقرون الحاجـب أجلح الرأس أشهـل العينين حسـن الشمائل جالس علـى سريره. قال المأمـون وكأني بـين يديه قـد ملئت له هيبة فقلت مـن أنت؟ قال أنـا أرسطوطاليس، فسـررت به، قلت أيهـا الحكيـم أسألك، قال سل، قلت ما الحسـن؟ قال ما حسن في العقل، قلت ثـم ماذا؟ قال ما حسن في الشـرع، قلت ثـم ماذا؟ قال ما حسن عند الجمهور... فكان هذا المنـام من أوكد الأسباب في إخراج الكتب..» نفس المرجع. ص 243.

الترجمة بعشرات المؤلفات في الميادين العلمية والفلسفية. ربما كان أشهرهم علــى وجه الإطلاق المترجم حنين بن إسحق العبادي الذي جمع بين البراعة في الطب والنبوغ في الترجمة والتصنيف ما لم يجتمع في غيره.

على أن الغالبية العظمى من مترجمي هذا العصر كانوا أيضاً من النصارى الذيــن يتقنــون السريانيــة والتــي بواسطتها ظلــوا ينقلون إلــى العربية من اليونانية والفارسية والهندية.

وقد اتجهت اهتمامات الترجمة في هذا العهد إلى أبواب جديدة من المعرفة لم تكن مطروقة إلا في حدود جداً ضيقة، مثل الرياضيات والتاريخ الطبيعي والأخلاق والنفسيــات والفلسفات الإلهية.. وذلك إلــى جانب الاستمرار في التعاطي مع كتب بطليموســ في الفلك والنجوم وكتب أبقراط وجالينوس في الطــب وكتب أقليدســ في الهندسة وكتب أرسطو في المنطــق والميتافيزيقا.. وكتب أفلاطون في علم السياسة..إلخ.

ومــن حيث لغات الترجمة اختص كل فريق من المترجمين بالتعامل مع اللغة التــي يحذق فيها أكثر من سواها، فاختصــ في الترجمة عن اليونانية حنين بــن إسحــق العبادي ويعقوب بن إسحق الكنــدي، وفي الفارسية برز عمر بن الفرخان الطبري وسلِّــم صاحب بيت الحكمة، وفي النقل عن السريانية نبغ إسحق بن حنين وحبيش بن الحسن الأعسم.

كما واصل المأمون ما كان قد بدأه جدّه المنصور وكرّسه والده هارون الرشيد مــن إيفــادِ البعثــات إلى الإمبراطوريــة الرومانيــة الشرقية لاقتنــاء الكتب والمخطوطــات المرشحــة للترجمة، وإجــزالِ العطــاء للمترجمين ومحضهم الاعتبــار، ودعــوةِ كــبراء الدولة إلــى التعهد بدعــم جهود الترجمــة مادياً ومعنوياً.

ومن ذلك أنه تحصّل بواسطة الشراء على مخطوطات مدرسة الإسكندرية، واستفاد من علاقاته مع قياصرة القسطنطينية الذين أهدوه كتباً نادرة، بل إن بعثاته وصلت إلى أثينا نفسها لتحقيق تلك الغاية.

وفي عصره تمت مراجعة العديد من الترجمات السابقة وأعيدت صياغتها لتوافق التقدم الذي أحرزته اللغة العربية من حيث المفاهيم والمصطلحات. وقد حصل ذلك مع كتاب الفلك الشهير باسم «المجسطي» لبطليموس الذي كان قد ترجم لأول مرة في عهد المنصور وثانية في عهد الرشيد وثالثة بإشراف وزيره يحيى بن خالد البرمكي.

وقد عرف عن المأمون ولعه، مثل سلفه المنصور، بالدراسات الفلكية التي أولاها عناية فائقة لدرجة أنه تجاوز ترجمة مؤلفاتها الكبرى إلى الأمر بتشييد مرصد لمراقبة الكواكب والنجوم في بلاد الشام انطلاقاً من الأوصاف والرسوم البيانية التي شخّص فيها بطليموس آلات الرصد وأدواته بالغة الدقة، وأوكل العمل بها إلى نخبة من علماء مملكته الذين حققوا أول إرصاد في بلاد الإسلام وهو الذي عُرف لديهم بالرصد المأموني[1].

لكن أهم ما ميّز تجربة المأمون هو توطينه ترجمة الفلسفة في حظيرة الفكر العربي الإسلامي. وكانت ترجمتها قبله قد لاقت الكثير من التعثر لأسباب دينية وثقافية، حتى جاء هذا الخليفة فحررها من القيود واتجه المترجمون بكامل طاقتهم إلى النظر في النصوص الفلسفية اليونانية ونقلها إلى العربية واتخذها المعتزلة، ومنهم المأمون نفسه، وقوداً لمجادلاتهم المتواصلة حول علاقة الكتب المنزلة بالأحكام العقلية.

كما انصرف المأمون كذلك باهتمامه إلى صناعة الطب، فشجع المترجمين

(1) ابن خلدون: نفس المرجع. ص 488.

على نقل عيون مؤلفاته إلى اللسان العربي. وقد حالفه الحظ بمعاصرة ولقاء الطبيب والمترجم حنين بن إسحق الذي وقف حياته على ترجمة مؤلفات أبقراط وجالينوس وغيرهما من عظماء الأطباء الإغريق.

ومرة أخرى سيكون ارتباط هذه الجهود بشخصية الخليفة، على ما أسفر عنه من إيجابيات؛ وبالاً على حركة الترجمة بعد وفاته (218هـ/833م). ذلك أن رحيله سيضع حدّاً لرحلة علمية خصيبة خاضها المأمون عبر العقدين من الزمن اللذين استغرقتهما خلافته. وستدخل الدولة العربية مجدداً في لحظة انقطاع وفتور ستوقف مسار التطور المعرفي والثقافي إلى حين.

ويتفق المؤرخون بغير تردد كبير على واقع التراجع والتدني الملحوظ الذي أصاب الحياة العقلية والعلمية على عهد الخليفتين المباشرين للمأمون، وهما المعتصم والواثق. فقد امتدت يد الإهمال إلى مرافق «بيت الحكمة» وانتشر العاملون فيه من المترجمين والنساخ يطلبون الرزق في أغراض أخرى بعد أن شحّت الإعانات التي كانت تنوبهم من كبراء الدولة ورجالاتها.

ولذلك سيكون علينا أن ننتظر مجيء العصر العباسي الثاني وتولية الخليفة المتوكل (232/247هـ - 847/862م) لنشهد عودة الحياة إلى هذا القطاع الحيوي من المجتمع العباسي. فعلى يده سيتم تجديد «بيت الحكمة» ومكتبته ببغداد، وسيعيّن على رأسها المترجم النابغة حنين بن إسحق. وسوف تعود الشخصيات البارزة في الدولة إلى دعم مشاريع الترجمة ورعاية القائمين عليها وتشجيعهم من جديد على السفر بحثاً عن الكتب والمخطوطات.

وأكثر ما كان يستغرق مترجمي هذا العصر، إلى جانب نقولهم الخاصة؛ انكبابهم على تنقيح الترجمات السابقة ومراجعتها في أفق تطويرها وجعلها

مسايرة لمقتضيات الدقة والاختصاص، وبالتالي تمكين القراء من ترجمات معتمدة، أي ملتزمة بمبادئ وأوفاق الترجمة الأمينة.

وسيشهـد القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) حركة ترجمية محدودة نسبياً قياساً إلى ما كان عليه الأمر في السابق. وذلك لعدة أسباب ربما كان أبرزهـا أن المترجمين قد استنفدوا أهم المؤلفات الأجنبية المؤهلة للترجمة، ولم يعودوا يتوخون فائدة فيما بين أيديهم من متواضع الأعمال التي لا يرجى مـن وراء نقلها للعربيـة طائل كبير. ثم هناك الانتقـال الطبيعي للمشتغلين بالترجمـة إلى مرحلة التدوين والتأليف بالمعنى الشخصي للكلمة، وذلك في أعقاب تشبّعهم بالنقولات الغيرية التي قوّت شعورهم بضرورة توديع مرحلة واستقبال أخرى.. وأخيراً هناك الانقياد الجماعي للاتجاه العام الذي ساد خـلال هذا القرن، وهو الاشتغال بالعلـوم الدينية واللغوية حصراً، وبالتالي الابتعاد بقدر منظور عن سابق العناية بالعلوم الرياضية والمعارف الفلسفية، وما شاكل ذلك، مما لا يتماشى مع طلب المعارف النقلية.

على أن وضع المراوحة هذا لن يستمر طويلاً، لأن سنة التطور لا تقبل التوقف أو التراجـع، بل يمكن اعتبـار هذا القرن بمثابة المستفيـد الأكبر من حركة الترجمـة، ومفتتحاً لاستضافة العلـوم العقلية التي راجت منذ القرن الثاني الهجـري والنسج على منوالها. ويكفـي أن نذكر أسماء فلاسفة وعلماء هذا القـرن كابن سينا والفارابـي والرازي.. لكي نقف علـى أهمية هذا المكسب التاريخي الذي تحقق للثقافة العربية عبر الترجمة.

ولعل ذلك ما يفسّر أن الترجمات النوعية التي سيشهدها هذا العهد ستأتي مكتنـزة بالشروح والتعليقات مما يوحي بالميل المتزايد، لدى المترجمين، إلى الاجتهاد والنقد وتجاوز وضعية الناقل أو المتلقي السلبي.

وقـد رجحـت كفـة الدراسـات الفلسفيـة فيما ترجمـوه من مثـل جمهورية أفلاطـون ونواميسـه، وازدادت عنايتهـم بمصنفات أرسطو التـي أصبحوا يستعينـون على فهمها بكتب الشـرّاح اليونان أمثـال الإسكندر الأفروديسي وفرفوريوسـ.. وجعلوا يتداولونهـا في مناظراتهم ومجالسهم، بحيث شكلت خلفيـة لكثير من النظريـات الفلسفية الإسلامية الناشئـة في القرن الرابع الهجري كما يذكر أحمد أمين في «ظهر الإسلام»[1].

وأمـا الترجمـة بحصـر المعنى فقد بـرزت فيهـا أسماء وازنـة راكمت عبر تجربتهـا عشـرات المؤلفات في العلـوم العقلية والمعـارف الفلسفية، من مثل سنـان بن ثابت بن قرة وأبي بشر متى بن يونس وعيسى بن إسحق بن زرعة ويحيى بن عدي.. ومن جهة اللغات المترجم عنها ظلت الهيمنة على التوالي للغات السريانية واليونانية والفارسية والهندية.

(1) أمين. أحمد : ظهر الإسلام. دار المعارف. القاهرة. 1958. ج2. ص 127.

دور النخب في دعم جهود الترجمة

مـرّ بنا أن خلفـاء بني العباس ممـن انصرف اهتمامهـم للترجمة ورعاية أهلهـا، كانـوا يحثون ذوي اليسار من كبراء دولتهـم على المشاركة في جهود الترجمـة ودعـم القائمين عليها، فـكان ذلك مفتتحاً لانخـراط العديد من الأسر الثرية والأشخاص الذاتيين في الميدان.

وقد صادفت هذه الدعوة هوى لدى العديد من الأسر الكبرى، وفي مقدمتهم آل البرامكـة ذوو الأصول الفارسية الذين كرسوا جهوداً جبارة لدعم حركة الترجمـة، وبخاصة من الفارسية إلـى العربية، وبرز من بينهم وزير هارون الرشيـد يحيى بن خالـد البرمكي الذي عني بتعريب العديـد من المؤلفات، وأعـاد مراجعة كثير من النقول التي تمـت في عهد المنصور، وذلك بهاجس أن تصبح الترجمة أكثر دقة وإتقاناً عما كانت عليه في السابق. ولهذه الغاية جمع المترجمـين في قصره وأغدق عليهـم الأرزاق وأحاطهم ببالغ الرعاية، فكان ما أنتجوه رافداً من روافد حركة الترجمة الدؤوبة في عصر الرشيد.

وفي عهـد المأمـون برز بنو موسى بـن شاكر، وبخاصة منهـم الإخوة محمد وأحمد والحسن الذين كان هذا الخليفة قد عهد بهم إلى القائم على "بيت الحكمـة" يحيى بن منصور الموصلي لتعليمهـم وتهذيبهم بعد وفاة والدهم موسـى بـن شاكر الذي كان أحد أخلص خدام المأمـون، "فخرج بنو موسى نهايـة في علومهم" فيما يقوله ابن النديم، وبرعـوا في علوم الفلسفة وهيئة الأفلاك وحركات النجـوم والرياضيات والهندسة.. وهم الذين كانوا سنداً للمأمـون في تنشيط حركة الترجمـة، وتحقيق ازدهارها خلال عهده وبعده، وكانـت لهم دار مخصصـة لإقامة المترجمين يلتقي فيهـا العارفون باللغات وأربـاب العلوم لمباشرة أعمال الترجمة نظير مكافآت مجزية، وفي طليعتهم

حنين بـن إسحق وحبيش بن الحسن الأعسم وثابت بن قرة.. وسواهم. كما كان مـن دأب رعـاة الترجمـة هؤلاء أن يبذلـوا الأمـوال في سبيل الحصول علـى المخطوطات والكتب، حتى أنهم كانوا يوفـدون مَن يأتي بها من البلاد البعيـدة. وفي ذلك يقول صاحب الفهرست: "وممن عني بإخراج الكتب من بلد الـروم بنو شاكر المنجم، وأنفذوا حنين بـن إسحق وغيره إلى بلد الروم فجاؤوهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلك والفلسفة والهندسة والموسيقى والأرثماطيقي والطب..[1]».

ومـن هؤلاء الرعاة كذلـك الطبيب والمترجم النصـراني يوحنا بن ماسويه الـذي عمل في خدمة أربعة خلفـاء عباسيين هم المأمـون والمعتصم والواثق والمتوكل، ونال لديهم حظـوة ومكانة رفيعة. وكان الاشتغال بالطب هو الذي قد قاده إلى الاهتمـام بترجمة المؤلفات الطبية التي كان ينهض بها بنفسه، أو يوكل نقلها لتلميذه النجيب حنين بن إسحق، أو لأحد النقلة القائمين على خدمته.

ويذكـر له ابن النديم كذلك مساهمته في تلك الرحلات العلمية لبلاد الروم بقصد جلب المخطوطات العلمية والطبية خصوصاً في عهد المأمون. هذا إلى جانـب انصرافه إلـى التأليف في المجال الذي يعنيه وهـو الطب والصيدلة، والذي أنتج فيه العديد من المصنفات[2].

ومثله الوزير محمد بن عبدالملك الزيات الذي قال عنه ابن النديم بأنه كان شاعـراً بليغـاً ورجل دولـة وزر لثلاثة خلفاء عباسيين هـم المعتصم والواثق والمتوكل، وعلى يد هذا الأخير نُكب وقتل سنة (233هـ/847م). وقد اشتهر

(1) ابن النديم: نفس المرجع. ص 243.

(2) نفس المرجع والصفحة.

الزيات قيد حياته بدعمه للترجمة والمترجمين الذين كانوا ينقلون باسمه المؤلفات الأجنبية مقابل أعطيات مجزية، حتى قال عنه ابن أصيبعة: «وكان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ في كل شهر ألفي دينار، ونقل باسمه كتباً عديدة[1]».

أشهر مترجمي العصر العباسي

يتفق القدماء على أن «حذاق الترجمة بالإسلام أربعة: حنين بن إسحق العبادي، ويعقوب بن إسحق الكندي، وثابت بن قرة الحراني، وعمر بن الفرخان الطبري[2]».

1 - مترجمو القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)

– حنين بن إسحق العَبادي: (194/260هـ – 809/873م)

وهو كبير مترجمي العصر العباسي برمّته، ورائد حركتها خلال القرن الثالث على وجه التحديد. وقد تمّ له ذلك بفضل مجموعة من المزايا اجتمعت فيه دون سواه، ومنها إتقانه أربع لغات معاصرة هي اليونانية والفارسية والسريانية ثم العربية، والتزامه الأمانة والدقة فيما يترجمه بالرغم من أنه اشتهر بأسلوب الترجمة بالمعنى وليس الترجمة الحرفية، ومنها كذلك غزارة إنتاجه وانتظامه في العمل وإخلاصه فيه، ثم هناك عنصر تمكّنه من العلوم والمعارف التي يقوم بترجمتها مما كان يجنّبه الوقوع في الأخطاء، وأخيراً قدرته على التعبير السليم باللغة العربية..[3].

---

(1) ابن أبي أصيبعة: نفس المرجع. ج2. ص 186.

(2) من بين هؤلاء الأندلسي والبيهقي وابن أبي أصيبعة والشهرستاني.

(3) الجميلي. رشيد: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة. دار الحرية. بغداد. 1986. ص 249 – 252. ويشار إلى أننا استفدنا كثيراً من هذا المؤلف المهم في تسطير تاريخ

وكان حنـين ينتهج في مباشرة ترجماته أسلوباً علمياً صارماً يقضي باعتماد النسخـة الأصليـة للمؤلـف المرشـح للترجمة في لغتـه الأصليـة أي من دون وسـاطـة لغـة أخرى، وإذا ما تعذر عليـه ذلك لسبب من الأسبـاب فإنه كان يشـترط توفّر نسختـين أو أكثر من الكتاب لتتاح له بذلـك المقارنة والموازنة وسدّ الثغرات المحتمل وقوعها في المخطوط.

وقـد اهتـم حنين بن إسحـق أكثر ما اهتـم بترجمة المصنفـات الطبية عن اللغـة اليونانية، وذلك لسببين اثنين يذكرهما المؤرخـون: هما واقع أنه كان «فاضـلاً في صناعة الطب، فصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية»[1]. فقد كانـت «أكثر كتب الحكمـاء والأطباء بلغة اليونـان فعرّبت، وكان حنين المذكـور أشـد الجماعة اعتناء بتعريبهـا، ولولا ذلك التعريب لمـا انتفع أحد بتلـك العلوم، لعدم المعرفة بلسان اليونـان»[2]. وقد ترجم الشيء الكثير من مصنفـات أبيقراط وجالينوس ولخص بعضها وشرح البعض الآخر، وحفظ لنا بهذا الصنيع تراثاً يونانياً هائلاً كان مقدراً له أن يضيع لولا تدخّل حنين ومدرسته لإنقاذه خلال العصر الوسيط.

كما كان ينقـل المصنفات الفلسفية والمنطقية مـن اليونانية إلى السريانية، خصوصـاً منها كتـب أرسطوطاليـس في الأنالوطيقا والطبيعـة والإلهيات، ويسند إلى تلامذته نقلها بعد ذلك إلى العربية، ثم يقوم هو نفسه بتدقيقها ومراجعتهـا لتـدارك النقصـ الذي يكـون قـد شابها عن طريـق الترجمة بالوساطة.

الترجمة في المشرق العربي، واعتمدنا عليه في الوصول إلى العديد من المصادر والمظان الغميسة.

(1) ابن النديم : نفس المرجع. ص 294.

(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بيروت. 1968. ج2. ص117.

ومعلـوم أن حنـين بن إسحق كان مـن أنصار العمل الجماعـي في الترجمة، لما استقـر في نفسـه من مصاعب العمـل الفردي في هذا المضمـار، ولذلك أحاط نفسـه بنخبة من المترجمين الشبـاب الذين عمل على تكوينهـم وأرشدهم إلى السبيل القـويم إلى الترجمة الأمينة. ومن بين أبرز هؤلاء ابنه إسحق بن حنين وابـن أختـه حبيش بن الحسن وتلامذته ثابت بن قـرة وقسطا بن لوقا وعيسى بن يحيى..

وبفضل مكانته وطول باعه في الميدان فقد أسند له الخليفة المأمون رئاسة «بيت الحكمة»، وعهد له بتنفيذ برنامج الترجمة المقرر في هذه المؤسسة، وأجزاه على ذلـك أعظم الجزاء حتى قيل بأنـه كان يأخذ من الخليفة ذهباً زنة ما يترجمه من المصنفات مثلاً بمثل[1].

كما أوكل إليـه الإشراف على تلك الرحلات العلمية للحصول على المخطوطات اليونانيـة من بلاد الروم، وفي ذلك يقول القفطي: «ودخل حنين إلى بلاد الروم لأجـل تحصيل كتب الحكمة وتوصل في تحصيلها غاية إمكانه، وأحكم اليونانية عند دخوله إلى تلك الجهات وحصل نفائس هذا العلم»[2].

وقـد تعاون حنين بـن إسحق، فضلاً عن خدمتـه للخليفة المأمـون، مع أعضاء تلـك النخبة من القائمين على شأن الترجمـة في ذلك العصر مثل أبناء موسى بـن شاكر الذين نقـل باسمهم العديد من المصنفات نظـير مكافآت مجزية له وللعاملين معه، والوزير محمد بن عبد الملك الزيات والطبيب يوحنا بن ماسويه والطبيـب بختيشوع وابنه جبرائيل بن بختيشـوع.. وسوى هؤلاء كثير ممن لبّى رغبتهم في النقل من اللسان اليوناني إلى العربي لعيون المؤلفات الطبية خاصة.

---

(1) ابن أبي أصيبعة : نفس المرجع. ج2. ص 143.

(2) القفطي. جمال الدين : إخبار العلماء بأخبار الحكماء. القاهرة. 1326. ص173.

وعلى هذا النحو، تمكّن حنين من حيازة موقع الصدارة لدى عموم رعاة حركة الترجمة في هذا العصر (الثالث الهجري التاسع الميلادي)، يستوي في ذلك الخلفاء وكبراء الدولة والشخصيات العلمية، وتشهد عليه تلك الذخيرة الهائلة التي أثرت المكتبة العربية بالمصنفات العلمية والفلسفية التي قام بترجمتها أو تصحيحها ومراجعتها.

- يعقوب بن إسحق الكندي

وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ولادته ووفاته، ولكنهم يتفقون على أنه عربي أصلاً، ومسلم عقيدةً، وأنه عاصر الخليفتين المأمون والمعتصم، وأنه كان أحد الأربعة الذين قامت على أيديهم حركة الترجمة في القرن الثالث الهجري.

ويبدو أن معرفته العميقة باللغة اليونانية وتكوينه الفلسفي والعلمي الراسخ قد ساعداه على الخوض في ترجمة مصنفات القدماء في مجالات الميتافيزيقا والجغرافية والرياضيات والهندسة. ولكن شهرته الأساسية انصرفت إلى الفلسفة بحصر المعنى.

وكانت عقلانية الكندي تمنعه من الخوض في الاشتغال بعلوم بعينها، لم يكن يرى من ورائها أي طائل علمي، مثل الكيمياء القديمة التي كانت تحصر اهتمامها في تحويل المعادن البخسة إلى ذهب أو فضة، وعلم التنجيم القائم على التنبؤات وانعكاس حركة الكواكب على أحوال الناس. ولكنه بالمقابل اشتغل بعلم الفلك وألّف فيه عدة مصنفات لاعتقاده في علميته.

ولم يكن الكندي يترجم من أجل الترجمة أو لوجه التكسب بواسطتها، وإنما ظل يستجيب في ذلك لضرورة الترجمة كأداة لاستجلاب المعرفة الكونية التي راجت في عصره. فقد كان عالماً وفيلسوفاً موسوعياً يهمّه أن يوسع

مداركـه عن طريق الحوار مع العلوم والمعارف التي أنتجتها الأمم الأجنبية. ومـن هنـا اختار أن يتتلمـذ في الفلسفة علـى أرسطو، وفي العلـوم الطبيعية علـى جالينوس، وفي الهندسة على إقليدس. واتخذ ذلـك سبيلاً إلى تشييد صـرح متين للفكر العربي الإسلامي يمارس الأخـذ والعطاء وينبذ الانغلاق والتقوقـع. وربمـا كان من علامـة ذلك في الإنتـاج الفلسفـي والعلمي الذي قـام بترجمتـه، أو أوعز بذلـك للنقلة العاملين معه؛ ذلـك الحضور اللافت للحواشـي والتفسيرات والشـروح والمناقشات التي كانـت تخبرنا عن نوعية الوعي النقدي الذي كان يمارس به الكندي التخاطب مع الآخر المختلف.

- ثابت بن قرة الحراني (221/288هـ - 836/903م)

وهـو من الصابئة، انتمى لمدرسة حران آخـر معاقل العلوم الهيلينية ومركز الديانـة الوثنية السريانية والثقافة الإغريقية القديمة، وانتقل إلى بغداد في صحبـة بني موسى بن شاكر، وعمل منجماً في بلاط الخليفة المعتضد بالله، وحظي عنده بالتقدير والاعتبار.

اهتـم في حياته بالعلوم المعياريـة كالطب والرياضيات وعلـم الفلك، ولكنه استغرقتـه المصنفـات الفلسفيـة والمنطقيـة اليونانيـة أكـثر مـن سواهـا، فنقـل كثيراً منها إلـى العربية، وبخاصـة أعمـال أرسطوطاليس في المنطق والميتافيزيقا التي ترجمها أو اختصرها وفسر ما فيها من حكمة ومعرفة.

وإلـى ذلـك فقد ترجم ابن قـرة إلى العربيـة مصنفات أساسيـة في الفلك والهندسـة، يكفي أن يُشار منها إلى: كتاب "المجسطي" لبطليموس، وكتاب "أصول الهندسة" لأقليدس، وكتاب "المخروطات" لأبلونيوس. كما ترجم في الجغرافيا والرياضيات والطب الذي اشتهر بالمهارة فيه تأليفاً وممارسة لدى الخليفتين المعتمد والمعتضد العباسيين.

وكان ثابت بن قرة قد أحاط نفسه بمجموعة من النقلة الذين تتلمذوا على يده فيما يشبه المدرسة الموازية لمدرسة حنين بن إسحق، وهي مدرسة حران التي كان في طليعة أعضائها ابنه سنان بن ثابت وحفيداه ثابت وإبراهيم، وبالتعاون معهم تمّ له إنتاج كل ذلك العدد الفائق من الترجمات التي أسهمت في النهضة العلمية لعصره ورسخت سمعته كواحد من العلماء الموسوعيين.

- عمر بن الفرخان الطبري

وهو منجم فارسي من طبرستان، اعتبر أهم مترجم من اللغة الفارسية في «بيت الحكمة» زمن الخليفة المأمون، كما رُتّب ثالث النقلة الأربعة المنوّه بهم سابقاً. وقد عمل في بدايته في خدمة يحيى بن خالد البرمكي الذي كان أحد كبار رعاة الترجمة، ثم انقطع بعد ذلك إلى الوزير الفضل بن سهل الذي قدمه للمأمون وفتح أمامه الباب ليتولّى ترجمة ما يأمر به من كتب ومصنفات في علوم التنجيم والفلك والفلسفة. يذكر منها ابن النديم (273) لائحة طويلة تتضمن على الخصوص كتاب «المقياس» وكتاب «المواليد» وكتاب «العمل بالأسطرلاب» وكتاب «المسائل»..إلخ.

وأكثر ما اعتنى به عمر بن الفرخان في رأي القفطي علم حركات النجوم وأحكامها التي زاد على كثرة ما ترجمه فيها تأليفه لكتاب "اتفاق الفلاسفة واختلافهم في خطوط الكواكب"[1].

- إسحق بن حنين

نشأ في مدرسة أبيه حنين بن إسحق، فتعلم السريانية واليونانية، وأجاد اللغة العربية وعلومها، واحترف ترجمة الكتب الفلسفية والعلمية لدى

(1) نفس المرجع. ص 241.

الخلفــاء وكــبراء الدولة العباســيــة الذين ارتبط بهم والــده. وقد تابعه على طريــق تركيز الاهتمام على الموضوعات الطبيــة ومشتقاتها ترجمة وتأليفاً. كما كان هو نفسه طبيباً مشهوداً له بالتفوق، وإن كنا نجده يميل في ترجماته بصورة واضحة إلى علــوم المنطق والقياس والأخلاق، حتى اعتبر من خيرة من نقلوا التراث الأرسطي في ميادين الجدل والبرهان.

وقــد تميز عمل إسحق بن حنين بكثرة مراجعته لترجماته السابقة التي كان يعــود إليها ليقوم بتصحيحها وتجويدها ما وجد إلى ذلك سبيلاً، مما يدلنا على الجدية التي كان يأخذ بها نفسه عندما يباشر أعمال الترجمة.

أدرك خلافــة المكتفي بالله، وكان من ندمائه وخاصّته. توفي في أيام المقتدر بالله سنة 298هـ.

- حبيش بن الحسن الأعْسم

وهــو نصــراني ينتســب إلى نفســ مدرسة حنين بــن إسحق، وأحــد أطرها الأساسيــة مع إسحق بن حنين. تولّى الترجمــة من اليونانية والسريانية إلى العربيــة. كما تعلّــم صناعة الطب على يــد أستاذه حنــين وشاركه في بعض مصنفاتــه التعليمية فيه. وخدم بطبّه العديــد من خلفاء بني العباس الذين قرّبوه ووثقوا في معالجاته.

اشتهــر بترجماتــه لكتب أقليدســ وجالينوس وأبقــراط وأرخميدس.. ونقل كثيراً مــن كتابات أفلاطون كالنواميس والمقولات، كما ترجم كتاب الأخلاق لأرسطــو.. وغــير ذلــك من عيــون الــتراث الإغريقــي خصوصــاً في الطب والفلسفة والهندسة. ويقال بأنه وضع ترجمة عربية للتوراة.

- قسطا بن لوقا البعلبكي

وهـو من نصـارى الشام، درس في اليونان، وعاش أيام المقتـدر بالله. نقل العديـد من كتب الإغريق والسريان، واهتم بعلـوم الطب والفلسفة والهندسة والحساب والفلك والموسيقى.

ويذكـر المؤرخـون أنه شـارك في الرحـلات العلميـة إلى بلاد الـروم بقصد استجلاب التصانيف اليونانية في العلوم القديمة، وأنه انكب على ترجمة كتب أرسطوطاليس في المنطق والطبيعيات والإلهيات والأخلاق.[1]

وقـد اشتهـر قسطا بن لوقـا الشامي كواحـد من أمهر مترجمـي كتب الطب والفلسفـة في نهاية القرن الثالـث، وخلّف ثروة كبيرة من المصنفات المترجمة والمؤلفة فيهما. وكانت وفاته سنة (300هـ/912م).

2 - مترجمو القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)

تتميز هذه الفئة من المترجمين بعدم معرفة اللغة اليونانية، ومن ثم اقتصارهم علـى نقل مـا خلفته مدرسة حنين بـن إسحق من مؤلفـات الإغريق المترجمة إلى السريانيـة، خلال القرن الثالث الهجري، ولذلـك يعتبرون امتداداً لهذه المدرسة.

- أبو بشر متّى بن يونس

وهو فيلسوف ومترجم نصراني، اعتبر من أعمدة القرن الرابع. اشتغل بالنقل مـن السريانية إلى العربية لسلسة الكتـب المترجمة عن اليونانية التي تخلّفت عن مدرسة حنـين بن إسحق على عهد «بيت الحكمة». ارتبط بالوزير المقتدر بالله أبي الفتح بن فضل بعد نزوله ببغداد آتياً إليها من دير قني جنوب دجلة.

---

(1) ابن النديم: نفس المرجع. ص 250.

اشتهـر علـى الخصوص بكـثرة ترجماتـه وشروحه لمؤلفـات المناطقـة اليونان كثامسطيـون وفرفوريوسـ وأرسطوطاليسـ.. وذلك بالرغم من عـدم معرفته باللغة اليونانية، واعتماده على النقول السريانية السابقة عليه. وقد برز كدارس وشارح لعلم المنطق، حتى قيل إنه تتلمذ على يده الفيلسوف أبو نصر الفارابي[1].

- سنان بن ثابت بن قرة

وهو طبيب صابئي، عمل في خدمة الخلفاء العباسيين: المقتدر بالله والقاهر بـالله والراضي بـالله. ورث عن والده مهنـة الترجمة، واشتغـل بنقل علوم الطـب والهيئة والنجوم والهندسة من السريانية إلى العربية. وقد تميز عن معاصريـه بالاهتمام بالتاريـخ، وبخاصة تاريخ الملـوك الساسانيين، وعمل علـى نقل نصوص من المذهب الصابئي إلى العربيـة. وقد دعاه القاهر إلى الإسلام فتردد بعض الوقت ثم أسلم خوفاً من بطش الخليفة، ومات مسلماً ببغداد سنة 331 هـ[2].

- يحيى بن عدي

وهـو فيلسوف نصراني من اليعاقبة، أخذ العلم عـن أبي بشر بن متى وأبي نصـر الفارابـي، وترجم مـن السريانيـة إلى العربيـة الكثير مـن مؤلفات أرسطوطاليسـ والشروح الدائرة حولها حتـى كاد يختص فيه. ومنها كتاب الأخلاق وكتاب النفس وكتاب الحيوان وبعض كتاب السماع الطبيعي وكتاب الحروف.. إلخ. وقد توفي سنة 364هـ/974م.

- عيسى بن إسحق بن زرعة

وهـو فيلسـوف ومنطقي نصراني عاشـ في القرن الرابـع. كان على اطلاع

(1) ابن خلكان: نفس المرجع. ج2. ص 112.

(2) القفطي: نفس المرجع. ص 190.

واسع باللغتين السريانية والعربية، مما جعل ترجماته تحظى بالاعتبار من لدن معاصريه. وقد نقل كتاب الحيوان وكتاب سوفسطيقا لأرسطوطاليس، كما صنّف رسائل في شرح أفكار هذا الفيلسوف وتبسيط مآخذه للناس.

ملاحظات حول مدرسة بغداد

معلوم أن مدرسة بغداد كانت مسبوقة بالمدرسة السريانية التي كانت قد نشطت ابتداء من القرن الخامس الميلادي، وأنتجت عدداً من مؤلفات الطب والفلسفة المترجمة عن اليونانية. وقد استمر هذا المجهود الذي قدمه النساطرة بعد مغادرتهم الإمبراطورية البيزنطية في سنة 431م، واستقرارهم في بلاد فارس التي حلّوا بها مصحوبين بالعديد من العلماء. ومعلوم كذلك أن اللغة السريانية قد قامت تاريخياً بدور الوسيط اللغوي والثقافي بين الأمم الشرقية، وهي لغة انبثقت من الآرامية الشرقية، وتنتمي لمجموعة اللغات السامية السابقة على ظهور المسيحية، ولكنها هي التي ستصبح لغة مسيحيي سوريا، وعبرها تم نقل الكتاب المقدس[1].

ومن المعروف تاريخياً أيضاً أن مدرسة الترجمة التي انبثقت عن مكتبة بغداد كانت مركز إنتاج للترجمات التي اعتمدت فيها على النقولات السريانية، وبقدر أقل على الأصول اليونانية.

وقد كان المترجمون في معظمهم ينتمون للعنصر المسيحي النصراني، ويتقنون إلى جانب اللغة العربية اللغتين السريانية واليونانية التي كانت لغة المخطوطات الأصلية. على أن ما ميز هذه المدرسة بالذات هو التخصص، فقد كان كل مترجم يعمل في المجال الذي درسه (طب، فلك، رياضيات..)،

(1) Ballard. Michel : De cicéron à benjamin. étude de la traduction. Presses universitaires de Lille. 1992. pp67. 68.

مـع ملاحظة الغيـاب الكلي تقريبـاً لترجمة كتـب الأدب باستثنـاء الأمثال والحكم.

ولم تقتصر مدرسة بغداد على الترجمة، بل قامت أيضاً بمراجعة الترجمات السابقة. وكانت الترجمة تمر غالباً من مرحلتين: من اليونانية إلى السريانية يقـوم بها حنين بن إسحق، ثم يقوم مترجمون آخرون بالترجمة إلى العربية التـي يراجعها حنين فيما بعد. كما كان هناك من توكل إليه المهمات الملحقة كالنسـخ والتجليد والتصنيف. أمـا اختيار الترجمات فقد كان يتمّ بأمر من الخليفـة أو إحـدى شخصيات البـلاط أو وجهاء القوم ممـن دعموا حركة الترجمة مادياً ومعنوياً.

وإلـى ذلك فقـد كان المترجمون في هذا العصر يتمتعـون بامتيازات مجزية (أجـرة شهرية تصل إلى 500 دينـار وامتيازات أخرى)، ولذلك وجدنا بأن مهنة الترجمة كانت تتوارث أباً عن جد.

وبصـورة إجمالية، سـوف نلاحظ على هذه الحركة أنهـا انصبّت في المقام الأول علـى النصوص النفعية التي تستجيـب لحاجة المجتمع العربي في تلك الحقبة، كما أنها تميزت بكونها اقتربت من الترجمة التأويلية الحرة بسبب صعوبة الأداء الدقيق لمفاهيـم ومصطلحات كانت تفتقد إليها اللغة العربية في ذلـك الإبّـان، وكذلك نتيجة توسّط لغات أخـرى في إنجاز عمليات النقل كالسريانية مثلاً.

ونسجـل على هذه الحركة كذلك قلّة الاهتمام بالقضايا النظرية والتحليلية ذات الصلـة بممارسـة الترجمة، وربمـا كان هذا الأمر عائـداً إلى ما تقدّم مـن انشغال بلغ حـدّ الاستغراق في مهـامّ النقل التـي كان تطوّق المترجمين وتبعدهم عن ترف التأمل والتنظير.

يضــاف إلى ذلــك وجود تلك الفجــوة القائمة بين طبقتين مــن المنخرطين، مــن قريب أو بعيد، في حركة الترجمــة، خلال هذه الحقبة. وهما باستعمال اصطلاحات لادميرال[1]:

– جمهــور النقلة أو بروليتاريا المترجمين: مــن أمثال حنين بن إسحاق وابن البطريق وابن المقفع.. وغيرهم ممن كان لهم باع طويل في ممارسة الترجمة من الفارسية واليونانية، ولكنهم لم يخلفوا لنا أية نظرية تدل على مذهبهم في الترجمة، ممّا ترك ثغرة في تجربة الترجمة في عصرهم.

– أرستوقراطيــة المنظّريــن للترجمة: وهــم فئة قليلة ممــن تحدثوا حديثاً إجماليــاً وجيزاً لا يشفي الغليل، عن طرق الترجمة وشروطها ومذاهبها من دون أن تكــون لهــم تجربة تذكــر في الميدان من أمثــال الجاحظ والتوحيدي والصفدي.

ظاهرة الإعراض عن التنظير

مــن هذا الاستعراض لجهود الترجمة في العصر العباسي، وعبر تأمل إنتاج روادها؛ يبدو لنا أن مــا ربحته مدرسة بغداد للترجمة، ذات السمعة المدوّية التي طبّقت الآفاق واعترف بها الجميع، في التراكم الكمي للترجمات من كل نــوع، وهو هائل واستثنائي بكل المقاييس؛ قد خسرته في الضعف الذي يقرب من الانعدام لكل تأمّل نظري أو منهجي في قضايا الترجمة.

فهــل كان ذلك ناجمــاً عن طبيعة وتركيبــة الذهنية العربية التــي يبدو أنها كانت تميل أكثر إلى تدبّر الوقائع الملموسة وتنأى عن التجريد الذي تفترضه الانشغالات النظرية؟

(1) Ladmiral. Jean René : Théorèmes pour la traduction. Paris. Payot. 1979.

أم أن مهام النقل الجسيمة والمكثفة لنصوص الأقدمين وأسبقيتها في الإنجاز هي التي صرفت هؤلاء المترجمين عن كل تفكير نظري محض في عملية الترجمة ومتعلّقاتها؟

ومهما يكن التفسير الذي يمكن أن نعطيه لهذه الظاهرة فإنها تظل نقطة عالقة وبحاجة إلى المساءلة المستمرة لاستيضاحها وبيان أسبابها وخلفياتها.

على أنه إذا كان يصعب علينا العثور لدى أعلام مدرسة بغداد من المترجمين على أثر للتأمل النظري المجرد في إشكالات الترجمة؛ فإن إطلالة على منجزهم الماثل أمامنا، ومعاينة السياق الحضاري الثقافي الذي اشتغلوا في نطاقه؛ بوسعه أن يساعدنا على تشكيل صورة تقريبية عن طرائقهم في ممارسة الترجمة، والغايات التي كانوا يسعون إليها عبرها.

ومن ذلك أن ترجمات حنين بن إسحق قد تميزت بالدقة والأمانة، وإن مالت إلى إعطاء الاعتبار للمعنى لتلافي نقائص الترجمة الحرفية، كما عرف عنه تمكّنه من العلوم والمعارف التي يتصدى لترجمتها، ممّا كان يجنّبه الوقوع في الأخطاء والهنات. كلّ ذلك، إلى جانب إتقانه التام للغات التي يشتغل عليها كاليونانية والسريانية والفارسية، فضلاً عن اللغة العربية التي يشهد له الجميع بالتضلع فيها والتبحر في علومها.

وقد أهّلته كل هذه المزايا لكي يترأس مدرسة بغداد للترجمة، ويشرف على بيت الحكمة حتى قيل: «مدرسة حنين».

كما تميز بميله الواضح إلى تفضيل العمل الجماعي في الترجمة، وتلك كانت حكمته من العمل، ضمن نطاق المدرسة المذكورة التي كان يرعى فيها المترجمين الشباب ويمدّهم بأسرار المهنة ومستلزماتها، بل يتّخذهم شركاء

له يعملون إلى جانبه في الترجمة والتصحيح والمراجعة. أي في كل ما يساعده على إنجاز مشروعه الضخم في بيت الحكمة.

ولكن، وبسبب من نزعته البراغماتية في اختيار النصوص الأجنبية المرشحة للترجمة، التي كانت في نفس الوقت تعبيراً عن توجهات الآمرين بالترجمة من خلفاء وأعيان؛ وجدنا حنيناً قليل الاهتمام بالمسائل النظرية والمنهجية المتصلة بعملية الترجمة في حدّ ذاتها، اللّهم ما ورد من ملاحظات عفوية وعابرة في مقدمة بعض النقول والتي لا تفيدنا في تكوين فكرة عن رأيه في عملية الترجمة وقضاياها.

وعلى كل حال، فلم يكن حنين بن إسحق استثناء بين معاصريه في هذا الشأن، فحتّى عندما نتأمل مثلاً في المسار الترجمي للفيلسوف يعقوب الكندي شديد الولوع في العادة بالأمور الفكرية والنظرية في مصنفاته الفلسفية والعلمية، فإننا لا نصادف شيئاً يذكر من تأملاته في ممارسة الترجمة وإشكالات النقل عن اللغات الأخرى.

أسلوب مدرسة بغداد في الترجمة

إذا كان خطباء ومترجمو الرومان قد اتخذوا الترجمة كتقليد ومحاكاة لنصوص الأقدمين، وحملوا عدداً من المترجمين اللاتين الذين جاؤوا بعدهم على نهج نفس الطريق الذي يجعل من الترجمة تمريناً بلاغياً وأسلوبياً من شأنه أن يغني لغتهم الناشئة؛ فإن مترجمي مدرسة بغداد وفي مقدمتهم الفيلسوف والمترجم العربي الكندي قد ظلوا يمارسون النقل عن اللغات الأخرى باعتباره سبيلاً إلى استجلاب المعرفة وتوطين العلوم الكونية في مختلف التخصصات، أي أنهم اتخذوا الترجمة لوجه تقوية المدارك

العربية وتحقيـق فرص التحاور الفكري والعلمي مـع الأمم المجاورة. وذلك دون شك لأنهم كانوا شديدي الاعتداد بلغتهم العربية، ولا يرون أنها بحاجة إلـى اقتباس الأساليب أو القوالب البلاغية. يزهّدهم في ذلك الشأو العظيم الـذي تقلّدته هذه اللغـة بين اللغات باعتبارها لغة القـرآن أولاً، ثم بوصفها أداة للتخاطب لدى ساكنة أعظم إمبراطورية في العالم في تلك الحقبة.

أما من حيث أسلوبهم في الترجمة بحصر المعنى، والذي يمكن أن نقف عليه من خلال تفحص التراكم الهائل الذي قاموا بإنجازه، فيمكن ملاحظة أنه يتميز بجملة من الخصائص التي اعترف لهم الباحثون المعاصرون، ومنهم الأجانب[1]:

1 – الحرص علـى أصالة المخطوطات المـراد ترجمتها بالبحـث والمقارنة، وقـد كان المترجمون يرتحلون لمسافـات طويلة بحثاً عنهـا، ويدفعون مقابل الحصول عليها المبالغ الطائلة.

2 – إرفـاق الترجمـات بالشـروح والتعليقات والمناقشـات العلمية، فقد كان المترجمـون في معظمهم متخصصين فيما يترجمونـه، وربما كان التزامهم بمبـدأ الوضوح مرتبطاً بالهدف التربوي لبعض تلـك الترجمات التي كانت موجهة أيضاً للطلاب.

3 – العنايـة بالعبارة لتبدو طبيعيـة وتحترم لغة الوصول، وذلك بالرغم من أن الافتقـار إلى مقابـلات لبعض المصطلحات العلميـة كان يضطرهم إلى الاقتباسـ والتعريـب والنحت، وكانت هـذه الاقتباسات تأخـذ أحياناً شكل هوامش.

---

(1) Ballard. op. cit. pp. 67. 68.

وعموماً، فقد ندب المترجمون الأوائل أنفسهم لعمل لم يُسبقوا إليه، واجترحوا طرائق في النقل والتعبير جديدة عليهم بكل المقاييس، وأتيح لهم عبر ذلك أن يغنوا مخزون اللغة العربية بالألفاظ والمصطلحات والمفاهيم، وأن يمكّنوا قراء العربية من فهم أغراض العلوم الراسخة كالطب والحكمة والفلك والحساب والهندسة.

ولا شك أن صعوبات دقيقة اعترضت سبيلهم، فيما كانوا يخوضون فيه من ترجمات ونُقول، وأن أموراً عارضة في الأداء والتعبير قد أشكلت عليهم، ولكنهم استعانوا على تجاوز كل ذلك بالإرادة والإصرار المبدئي، وأساساً بالثقة المعنوية المطلقة في مقدرة اللغة العربية على استيعاب كل جديد والسعي إلى تمثّله والتعبير عنه.

وقد عانت الأجيال الأولى من المترجمين من مشاكل المصطلح الذي كان يندر العثور على ما يقابله في لغة الضاد بسبب من غياب التماثل في المفاهيم والتصورات، فلجؤوا إلى التعريب كخطوة مؤقتة فقالوا: الأرتماطيقي وفيزيقا وقاطيغوراس وأسطقس والريطوريقي والبويطيقي.. ولكنهم عادوا بعد نضوج التجربة واتضاح الرؤية فأوجدوا لكل من تلك المصطلحات مقابلات عربية فقالوا: الحساب والطبيعة والمقولات والعنصر والخطابة والشعر[1]..

وربما كانت هذه المهام التأسيسية وغيرها ممّا صرف قدماء المشتغلين بالترجمة في هذا العصر عن النظر في القضايا التجريدية للترجمة والتأمل المنهجي في ممارستها. ولكن ذلك لم يكن يعني قطعاً أنه كانت تعوزهم كلّيا حاسة التقييم، بل إننا كنا نصادف لديهم في سياق حديثهم عن الترجمات بعض العبارات التقييمية الموجزة والعابرة، ولكن ذات الدلالة التي لا تخفى،

(1) الخوري. شحادة: فن الترجمة. الدار العربية للنشر. تونس. 1980 . ص51.

خصوصــاً في حالــة افتقادنــا لوجهــات النظر العالمــة المتصلــة بتقييم تلك المنجزات.

فقــد كان يحــدث أن يترجم الواحد منهم كتاباً في باب من أبواب المعرفة ثم يعود، هو أو غيره، لإصلاح لغته وتهذيب صياغته أملاً في تقديم أقوم ترجمة ممكنــة وفي أحسن صورة متوقعــة، ومن هنا نزعة المراجعــة والتدقيق التي تفشّت في صفوف المترجمين الأوائل.

فهــذا الحجــاج بن مطر ينقــل كتاب «أصــول الهندســة» لأوقليدس في زمن الرشيــد، ويسمّى النقل الهاروني، ثم يعود إلــى نقله في زمن المأمون فيُنجز منــه صيغــة أكثر تدقيقــاً، عُرفت بالنقــل المأموني. وعُرف عــن ابن النديم صاحــب الفهرســت تفضيله للنقل المأموني عن صنــوه النقل الهاروني الذي كان يقول عنه «وعليه يعوّل».

ومن ذلك أيضاً قول ابن جلجل عند حديثه عن ترجمات ابن البطريق يحيى بأنه «كان أميناً على الترجمة، حسن التأدية للمعاني، وترجم كثيراً من كتب الأوائل».

أو قــول ابن أبي أصيبعة مقارناً بين ترجمــات أبي يحيى البطريق وترجمات حنين بن إسحق: «وله نقل جيّد، إلا أنه دون نقل حنين بن إسحق».

وشبيه بهذه الأمثلة كثير، مما يعطي الدليل من جهة على الجدية والصرامة التي أخذ بها هؤلاء المترجمون أنفسهم، ومن جهة أخرى على دقة الملاحظات التي كانت تصدر عن مؤرخي الترجمة من أهل ذلك العصر.

ونحن نصادف في سياق موضوعنا نصاً نادر المثال لأبي حيان التوحيدي في ذمّ الترجمة بالوساطــة، يدلّنا من جملة الأشياء على درجة الوعي الجنيني

الذي كان للقدماء العرب بأهمية النقل المباشر عن اللغات الأجنبية.

فهو يورد في مقابساته حديثاً عن تلك المناظرة الشهيرة التي تمّت بين أبي سعيد السيرافي والمترجم أبي بشر بن متى بن يونس في مجلس أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات وزير المقتدر بالله.. حيث قال أبو سعيد لأبي بشر يؤاخذ عليه الاشتغال بالمنطق مع عدم معرفته باللغة اليونانية: «فأنت لست تدعونا إلى علم المنطق، بل إلى تعلّم اللغة اليونانية، وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرت تدعونا إلى لغة لا تفي بها، وقد عفت منذ زمان طويل وباد أهلها وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها ويتفاهمون أغراضهم بتصرّفها، على أنك تنقل عن السريانية، فما تقوله في معان متحولة بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية، ثم من هذه إلى لغة أخرى عربية»[1].

ونحن نفهم من حديث السيرافي وعيه بالنقص الذي لابدّ يعتري الترجمة عندما تتوسّل بلغة ثالثة، تتوسط بين لغة الأصل ولغة النقل، والذي لا أقل من أن يترتب عنه ازدياد احتمال الخطأ في أداء المعاني الأجنبية، وفي أحسن الأحوال عدم الوفاء بها وفاء العالم بلغتها الأصلية.

وأخيراً فمثل هذا الوعي لا نستكثره على ثقافة لعبت دور الوسيط التاريخي والثقافي بين الشرق والغرب، عندما انكبت على نقل التراث القديم، منقذة إياه من ضياع وشيك. وهو الدور الذي لم ينكره عليها حتى غلاة المستشرقين ممن اضطروا إلى الاعتراف لمدرسة بغداد، بمختلف مكوناتها، برفد البلاد الأوروبية بمصادر الفكر الشرقي، الإغريقي والعربي، الذي ستؤسس عليه نهضتها، وتستلهم منه أسباب رقيها العلمي والحضاري.

---

(1) التوحيدي. أبو حيان: المقابسات. تحقيق محمد توفيق حسين. دار الآداب. بيروت. 1989. ص68.

بداية التنظير العربي للترجمة

كنـا قد توقفنا ونحـن نسجل جهود الغربيين في التنظـير للترجمة عند تلك اللحظـة التي شهدت انقطاع خيط التفكـير في هذا الموضوع بسبب ما تقدّم مـن استغراقهم في سبـات العصور الوسطى، ولذلـك لم نجد مندوحة من أن نـولّي وجوهنـا شطر بلاد المشرق العربي التـي كانت قد دشنت مع حلول العصـر العباسي انخراطها في عهد ذهبي سـوف تزدهر فيه أنشطة الفكر والثقافـة والأدب على ذلـك النحو الذي بهر العـالم، مستفيدة في ذلك من قربها الجغـرافي وقرابتها التاريخية مع مراكز الإشعاع الحضاري والفكري في بلاد الشرق القديم كاليونان وفارس.

علـى أن ما صادفنـاه ونحن نروم هذا المسعى هو ذلـك الغياب الملفت لنظرية للترجمـة في الثقافـة العربية، ولو في حدودها الدنيا. وقـد أردنا أن نلمّ شتات التصـورات والأفكار التي تصب في باب ما يمكن أن يكوّن نظرية للترجمة عند قدمـاء العرب، فنظرنا في المتوافر بين أيدينـا من ترجمات الأوائل في محاولة لاستخلاص نظريتهـم من ممارستهـم الفعليـة لعملية الترجمـة؛ ولكننا لم نخلص من ذلك سوى إلى ملاحظات متشظية، لا تفي بالغاية المطلوبة. وبحثنا في كتـب تاريـخ الأدب الكلاسيكي علنا نظفر ببعض مـا ننشده ويشفي غليلنا؛ فكان غاية ما وجدناه جديراً بالاستعراض هو ذلك النزر القليل الذي ورد على لسـان أبي عثمان الجاحظ من أفكار وآراء، فعملنا دون تأخير على تلخيصها، وبحثنا فيما يربط بين عناصرها في محاولة للكشف عن المنطق الداخلي الذي يتحكـم فيها، كما قمنـا بإلمام وجيز برأي صلاح الديـن الصفدي لأخذ فكرة تقريبية عن نمط التفكير العربي الكلاسيكي في قضايا الترجمة، وتبين نوعية المشكلات والمآزق التي كانت تطرحها على العقل العربي في ذلك الإبان.

وسـوف نلاحظ بأن هذين العالمين العربيين يطـوران فكرتهما عن الترجمة في سيـاق نوعي، يدمجها في جهود التأمـل الكوني لهذه الظاهرة التاريخية، ويعطيهـا شرعيـة تمثيـل الإسهام العربي الـذي كان ثمرة صغـيرة لتجربة خصيبة خاضها أسلافنا مع الترجمة في مختلف أشكالها وتجلياتها.

أبو عثمان الجاحظ (ق 9)

عندمـا جاء الجاحـظ في منتصف القـرن الثالث الهجـري، الموافق للقرن التاسـع الميلادي، كانت حركة الترجمـة إلى العربية قد حققت من المكاسب العلميـة والثقافيـة مـا جعلهـا تصبـح ممارسة عضويـة في جسـد الثقافة والمجتمع العربيين.

وكان الجاحـظ ممن لم يُعرف عنهم إتقانهـم لأية لغة أجنبية، أو أنه أسهم مـن قريب أو بعيد في جهود الترجمة إلى العربيـة، ولذلك كانت غاية صلته بالأمـر أنه كان غزيـر الاطلاع على ما جرت ترجمتـه في عصره من العلوم والآداب من لغاته المختلفة كالفارسية واليونانية والهندية.. وهذه الترجمات هي التي كانت مصدره لفهم معاناة المترجمين، ومنها اكتسب إلماماً بقضايا الترجمـة ومشكلاتهـا. هذا إلى جانب كونه قد استفـاد من دفق الترجمات المنجـزة في عصـره، وسعـى إلـى استثمارهـا في كتاباتـه، وبخاصـة ذات الطابـع الاستكشـافي مثل كتاب «الحيوان». وعليه يكـون الجاحظ على رأس أرستوقراطيـة المنظرين العرب للترجمة، أي تلـك الزمرة من المتدخلين في موضوعها من دون أن يكونوا قد مارسوها فعلياً بسبب عدم معرفتهم للغات.

ولكـن تأملات الرجل اللامعـة، منذ ذلك الوقت المبكـر في كثير من قضايا الترجمـة؛ تنمّ عن مـدى استبطانه لمشكلاتها، وسـداد نظرته إلى الشروط

التي ينبغي توافرها في المترجم الكفء[1].

وقــد ورد حديث الجاحظ عن الترجمة ضمن كتابــه الموسوعي الحيوان، في أعقــاب تطرقه لموضوع عن الكتابة والقلــم وتدوين التاريخ، حيث يعرج على موضــوع الشعر العربي وصعوبة ترجمته لما يتضمنــه من خواص فنية تعسر عــن النقل، ثم يتناول بالتحليــل شرائط الترجمان، مختتمــاً بالحديث عن ترجمة الكتب الدينية.

ونحــن نجده في متن هذا الكتــاب بالذات يقوم بالتعرضــ لمسألة الترجمة، ويسجــل موقفــه منها، وذلــك من خلال نقده لمــا يعرف اليــوم بالازدواجية اللغوية، حيث قال نصه المشهور:

«ولا بــدّ للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفــة، وينبغي أن يكــون أعلمَ الناس باللغــة المنقولة والمنقــول إليها حتّى يكــون فيهما ســواء وغاية. ومتى وجدنــاه أيضاً قد تكلم بلسانــين علمنا أنه قــد أدخل الضيم عليهما، لأن كلّ واحــدة من اللغتين تجتذب الأخرى وتأخذ منها وتعترض عليها. وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعتين فيه كتمكنه إذا انفــرد بالواحدة، وإنما له قوة واحدة، فــإن تكلم بلغة واحدة استفرغت تلــك القوة عليها، وكذلك إذا تكلــم بأكثر من لغتين، على حساب ذلك تكون الترجمــة لجميع اللغات، ولمــا كان الباب من العلم أعسرَ وأضيق والعلماء به أقــل كان أشد على المترجــم وأجدر أن يخطئ فيه، ولــن تجد البتة مترجماً يفي بواحد من هؤلاء العلماء»[2].

---

(1) حسن محمد عبد الغني: فن الترجمة في الأدب العربي. القاهرة. 1966. ص34. والخوري: مرجع سابق. ص8.

(2) الجاحــظ. أبو عثمــان: الحيوان. ج 1. تحقيق عبــد السلام هارون. دار الكتــاب العربي. بيروت. 1969. ص 76.

إن الجاحظ يستجمع في هذا النص جملة من الأفكار ذات الصلة الوثيقة بالترجمة والتي تملأنا إعجاباً بنباهة الرجل ودقة إشاراته. وفي طليعتها ضرورة الإلمام بلغتي المصدر والهدف، وهي الضرورة التي يحيطها بسياج من النسبية، والتي ليس أقل مظاهرها احتمال ما تدخله اللغات من «الضيم» بعضها على بعض متى اجتمعت في لسان واحد.

وربما بدا بعض التناقض في كلامه عن استحالة الازدواجية اللغوية عند مقارنته بافتراضه في المترجم أن يكون ملمّاً إلماماً كاملاً بلغتي الأصل والنقل كما ورد في قوله: «وعليه أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة، والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية».

فإذا كان يعتقد أن استواء اللسانين التام غير ممكن، فإن هذا الإثبات يفسد الافتراض السابق. على أن الأمر لا يقوم لديه كمانع لحصول الترجمة التي لا يكف عن تذكيرنا بأهميتها صراحة أو ضمناً[1].

كما أن الجاحظ لا ينسى التنبيه إلى أهمية المعرفة بالموضوع الذي يباشر المترجم الاشتغال عليه، خصوصاً إذا ما تعلق الأمر بأحد تلك العلوم الدقيقة التي لا يستقيم عمله بدون عميق المعرفة بها. وهو بذلك يسبق منظري الترجمة في العصور الحديثة الذين أكدوا على نفس هذا الأمر وشخصوه بالأمثلة والدلائل، حتى قالوا: «إن ترجمة كتاب من اللغة المجرية في علم الميكانيكا لا يستلزم معرفة تلك اللغة فحسب بل يفرض معرفة أصول ذلك العلم أيضاً». والجاحظ يوجز رأيه في هذه المسألة في عبارة باهرة

(1) حكاية إعجاب الجاحظ بذي اللسانين معروفة وتعود إلى ما لاحظه من إتقان أحد الرواة اللسانين العربي والفارسي، حيث كان يشرح الأحاديث النبوية تباعاً بالعربية للجمهور العربي وبالفارسية للجمهور الفارسي، انظر نصها في كتاب (الحيوان).

تتميز بالدقة والوضوح حينما يقول: «ولا بد للترجمان أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة».

ونحــن نجــده كذلــك يلحّ علــى ضــرورة إحاطة المترجــم بالسيــاق الثقافي والحضــاري الذي ينــدرج فيه النص موضــوع الترجمة، إذا مــا أريد له أن يــؤدي معانيه على الوجه الصحيح، ومن هنا إلزامــه المترجم أن يكون على معرفة بـ«أبنية الكلام وعادات القوم وأسباب تفاهمهم»[1].

وهو يسبــق المعاصرين بسنوات ضوئية أيضاً في موضوع لم يبدأ التفكير فيه جديــاً إلا مع بداية القــرن العشرين من طرف عالم اللغــة جاكوبسون. وهو موضــوع استحالة ترجمة الشعر الأجنبــي، فعنده أن الشعر، والشعر العربي تحديداً، لا تجوز عليه الترجمة لأنها ستفقده أهم مميزاته أي «ذلك المعجز الذي هو الوزن».

وهو يقول بهذا الصد :

«الشعــر لا يستطاع أن يترجم ولا يجوز عليــه النقل، ومتى حوّل تقطع نظمه وبطــل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب لا كالكلام المنثور. والكلام المنثــور المبتــدأ على ذلــك أحسن وأوقع مــن المنثور الذي تحــول من موزون الشعر».

والجاحــظ لا يصــدر مثل هــذا الحكم بإطــلاق، أي أنه لا يسحبــه على كل الشعر، بل إنه يقف عند تعليله ذلك الأمر على طبيعة الشعر العربي تحديداً، ناظراً إلى خصائصه القائمة في أصل نشأته، يقول في ذلك: «وقد نُقلت كتب الهنــد، وتُرجمت حكم اليونان وحوّلــت آداب الفرس، فبعضها ازداد حسناً،

---

(1) الجاحظ: نفس المرجع السابق. ص 77.

وبعضها ما انتقص منه شيئاً. ولو حُوّلت حكمة العرب، لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن، مع أنهم لو حولوها لم يجدوا في معانيها شيئاً لم تذكره العجم في كتبهم، التي وضعت لمعاشهم وفطنهم وحكمهم. وقد نقلت هذه الكتب من أمة إلى أمة، ومن قرن إلى قرن، ومن لسان إلى لسان، حتى انتهت إلينا، وكنا آخر من ورثها ونظر فيها، فقد صح أن الكتب أبلغ في تقييد المآثر من البنيان والشعر»[1].

وللجاحظ وجهة نظر في ترجمة النصوص المقدسة ومنها القرآن الكريم. وذلك انطلاقاً من فكرته بصدد كتب الدين التي يرى أنها «أخبار عن الله -عز وجل- بما يجوز عليه، وما لا يجوز»[2]، وهو يربط إمكان ترجمة النص المقدس بتوافر المترجم على الإيمان، مثلما فعل مترجمو التوراة والإنجيل، من أمثال سان أوغسطين (ق5) ومارتن لوثر (ق16)، عندما تحدثوا عن حاجة المترجم إلى معونة الإلهام الإلهي.

فالجاحظ يربط انكباب المترجم على ترجمة معاني الكتاب المقدس بشرط: «أن يتكلم على تصحيح المعاني في الطبائع، ويكون ذلك معقوداً بالتوحيد».

ويبدو أنه كان على وعي عميق بمخاطر تحريف الكلام الإلهي إذا ما تصدى له مَن كان فاسد النية والعقيدة، ومن ذلك قوله في رسالته (الرد على النصارى): «إن اليهود لو أخذوا القرآن فترجموه بالعبرانية لأخرجوه من معانيه ولحوّلوه عن وجوهه».

وأما الشاهد عنده في هذا الرأي فهو أن «الخطأ في الدين أضر من الخطأ في الرياضة والصناعة».

(1) الجاحظ: نفس المرجع السابق. ص 75.
(2) الجاحظ: نفس المرجع السابق. ص77.

ويخلص الجاحظ من كل حديثه عن الترجمة إلى التعبير عن فكرته بصدد استحالة أن تضاهي الترجمة الأصل مهما بلغ صاحبها من المعرفة والإتقان للّغة التي ينقل عنها. وهو بذلك يضع اليد منذ ذلك الوقت المبكر على إحدى مآزق الترجمة التي ستسيل الكثير من مداد منظري الترجمة:

«إن الترجمان لا يؤدي أبداً قول الحكيم على خصائص معانيه وحقائق مذاهبه ودقائق اختصاراته وخفيات حدوده. ولا يقدر أن يوفيها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزم الوكيل، ويجيب عن الجريء. وكيف يقدر على أدلتها وتسليم معانيها والإخبار عنها على حقها وصدقها إلا أن يكون في العلم بمعانيها واستعمال تصاريف ألفاظها وتأويلات مخارجها مثل مؤلف الكتاب وواضعه؟ فمتى كان ابن البطريق وابن ناعمة وابن قرة وابن فهر وابن المقفع مثل أرسطاطاليس، ومتى كان خالد مثل أفلاطون؟»[1].

وهكذا فالترجمة عنده باعتبارها صورة أو نسخة لا يمكنها بأية حال أن تتعالى على الأصل أو تطاوله، مثلما أن المترجم يظل دون مرتبة المؤلف لأن الأول ناقل والثاني خالق، فكيف يستوي «النقل» مع «الخلق» وهما من طبيعتين مختلفتين.

وأخيراً فإن التأمل في هذه الأفكار، التي لا ينازع أحد في أصالتها، يجعلنا نحدس انخراط الجاحظ في ذلك النقاش الذي لا بد كان قائماً في عصره بين نخبة المعنيين بشأن الترجمة، والذي بقي لأمر ما مضمراً في أحاديثهم ومؤلفاتهم إلى أن قيض له أن يجد صياغته على هذا النحو الباهر على لسان أبي عثمان.

---

(1) الجاحظ:نفس المرجع السابق. ص 76. 75.

صلاح الدين الصفدي (ق 14)

إنــه أحـد أقدم المنظرين العـرب للترجمة بعد الجاحظ ممـن وصلنا رأيه، وهـو الشاعـر والموسوعـي العربي صلاح الديـن الصفدي مـن أهل القرن الرابـع عشر الميلادي (1296–1362)، ونقل عنـه هذا النص الشهير بهاء الديـن العاملي في كتابـه الكشكول، وعن الأخير نقلـه المعاصرون من أمثال سليمان البستاني وحسن الزيات وحسن عبد الغني.. وسواهم ممن تعرضوا للموضوع.

يقـول الصفـدي: «وللترجمة في النقـل طريقان: أحدهما طريـق يوحنا بن البطريـق، وابـن ناعمـة الحمصـي وغيرهما، وهـو أن ينظر إلـى كل كلمة مفـردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليـه من المعنى، فيأتي الناقل بلفظة مفـردة من الكلمـات العربية، ترادفها في الدلالة على ذلـك المعنى، فيثبتها وينتقـل إلـى أخرى كذلك، حتـى يأتي على ما يريد تعريبـه. وهذه الطريقة رديئـة لوجهين: أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمـات اليونانية، ولهذا وقـع في خلال التعريب كثير مـن الألفاظ اليونانية على حالها. والثاني أن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها مـن لغة أخـرى دائماً، وإنما يقع الخلـل من جهة استعمـال المجازات، وهي كثيرة في جميع اللغات.

الطريـق الثاني في التعريب: طريق حنين بـن إسحاق والجوهري وغيرهما. وهـو أن يأتـي المترجم بالجملـة فيحصل معناها في ذهنـه، ويعبر عنها من اللغـة الأخرى بجملة تطابقها، سـواء أساوتها في الألفاظ أم خالفتها. وهذا الطريق أجود. ولهذا لم تحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضيـة، لأنـه لم يكن قيمـاً بها، بخلاف كتـب الطب والمنطـق الطبيعي

والإلهي، فإن الذي عربه منها لم يحتج إلى إصلاح».

وقد قال سليمان البستاني (1904) معلقاً على هذا الموضوع في مقدمة ترجمة للإليـاذة: «إن هذيـن الطريقين اللذيـن أشار إليهما الصـلاح الصفدي منذ زهـاء ستة قرون همـا المذهبان المعـوّل عليهمـا في النقل حتى أيامنـا، وليس وراءهما مذهب ثالث في التعريب الصحيح»[1].

ويعتبر هـذا النصـ التأسيسي، العائد إلـى الصفدي، أهـم إضافة تنظيرية لمسألـة الترجمة تصلنا عن القدماء الذين عودونـا على عدم الخوض في هذا الموضـوع، وكأنـه لا يعنيهم في شـيء. وهو يتضمن جملة مـن التحديدات التي وإن بـدت بسيطـة وبديهية للعين المعاصرة، فإنها قطعاً لم تكن كذلك قبل ستة قرون خلت.

ولعل أهم ما يستوقفنا ضمنه هو حصول بعض الوعي النظري، ربما لأول مرة، باختلاف أنواع الترجمـة، أو نوعيها الحرفي والحر على وجه التدقيق، والعمل علـى تحديدهمـا والتمثيل لهما، ولكـن من غير جرأة علـى تسميتها دون شك بسبب الافتقار إلى المصطلح.

ويدلنـا هذا النص كذلك على البروز الجنيني لنزعة التحليل والتعليل وترتيب الأسبـاب واستعمال الشواهد وإصدار أحكام القيمة.. وغيرها؛ بغرض الإقناع بوجاهة التصنيف الذي يقترحه علينا. ونحن نجد أن الصفدي قد حدد معنى الترجمـة الحرفية وأعطى مثالاً بمن مارسهـا، ثم حكم برداءتها مستدلاً على ذلك بسببين، هما:

– اختلاف القدرة الاستيعابية للغات من حيث الطاقة المعجمية على الخصوص،

---

(1) البستاني. سليمان : الإلياذة. دار الهلال. القاهرة. 1904. ج1. ص 76.

وإقراره بأن العربية الرائجة خلال القرن الرابع عشر كانت قاصرة عن تغطية القاموس اليوناني، ومن هنـا احتفظت الترجمات بكثير من الألفاظ الأجنبية في أصلها، وهذا برأيه كان خللاً ينبغي تداركه لتحقيق ترجمة متوازنة.

- اختـلاف الخصائص التركيبية والإسنادية للغات، وصعوبة أن يحدث بينها تطابـق مما كان ينجـم عنه ارتبـاك، خصوصاً في حالة استعمـال المجازات. ويرجـح عنـدي أن هذا الوجه الأخير هـو الذي كان سبباً في إحجام المترجم العربي عن نقل النصوص الإبداعية بما فيها من أشعار وملاحم وتراجيديات إغريقية.

ثـم إنه يتحدث عـن الترجمة الحرة التـي يجعلها نقيضـاً للترجمة الحرفية، ويذكـر بعض أعلامها الذين اشتهروا بممارستها، ويصف طريقتها التي تقوم عنـده على النقل الإجمالي الـذي لا يأخذ بحرفية الكلمـات والجمل الأصلية، وإنما يقتصر على أداء المعاني في لغته الخاصة ووفق قوالبها التعبيرية المألوفة. وهو لذلك ينتهي بالحكم على هذا الضرب من الترجمة بالجودة.

والخلاصـة أننا، مع الصفـدي، وقبله مع الجاحظ، نقف علـى نوعية التفكير العربـي في الترجمة الذي تمت صياغته والعبـارة عنه بكامل الوضوح والدقة. وهو ما يسد ثغرة في النسق الذي نحاول في هذا البحث رسم مساره عن طريق التقـاط كل ما هو متهيئ من الأفـكار والإشارات التي اتجهـت إلى النظر إلى الترجمة وقضاياها في تجلياتها ومستوياتها المختلفة.

وإنـه ليبـدو واضحاً أن الإسهـام العربي في هذا المجال، علـى قلته الكمية، هو مـن الأصالة والنباهة بحيث يحتل مكانـه المستحق ضمن التراكم الذي حققه منظـرو الترجمـة في هـذا الطـرف أو ذاك من العـالم. وهو مـا يضاف، بكل اقتدار، إلى المجهـودات العربية المشهود بها في الممارسة العملية للترجمة منذ

مدرسة بغداد في القرن التاسع إلى مدرسة الألسن في القرن التاسع عشر، مع احتساب ما بينهما وما بعدهما.

الترجمة في عصر الانتقال

مدرسة طليطلة

كان أمابل جوردان Amable Jourdain 1819 هو أول الغربيين الذي أثار الانتباه إلى وجود مدرسة للمترجمين بطليطلة حوالي القرن الثاني عشر الميلادي اجتمع فيها مترجمون جاؤوا من مختلف البلاد الأوروبية.

واليوم يحتل الحديث عن مدرسة طليطلة مكانة بارزة في إسطوغرافيا الترجمة، فقد اعتبرها جورج مونان أول مدرسة حقيقية للترجمة (1965)، وعدّها آخرون نموذجاً للعمل الجماعي في الترجمة بأوروبا.. لكن الحاجة تظل قائمة إلى التعرف على نوعية وطبيعة هذه التجربة التاريخية في مضمار الترجمة، والإحاطة بما ميّز نشاطها على مستوى الممارسة والتنظير وإلقاء الضوء على مختلف الإشكالات اللغوية والثقافية التي ارتبطت بها[1].

وكان العرب قد حّلوا بشبه الجزيرة الأيبيرية سنة 711م واستقروا بها زهاء سبعة قرون حيث ستتقلب الأندلس العربية في عدة أطوار:

- من 711م إلى 929م وعاشت تحت حكم الخلافة المركزية ببغداد.
- من 929م إلى 1031م وهو طور الاستقلال عن الحكم المركزي بالمشرق.

وابتداء من 1008م سوف تدخل الأندلس طور الانحطاط وفقدان المركزية وذلك نتيجة عدة عوامل من أهمها نشوب النزاعات السياسية بين الأطراف

(1) Foz. Clara : Le traducteur، l›église، et le roi. Les presses de l›université d›Ottawa . 1998. p1.

الحاكمة، وتكاثر العناصر غير العربية في المجتمع الأندلسي، والضغط المتزايد للملوك المسيحيين المناوئين الذي انتهى أخيراً بإسقاط الخلافة العربية في قرطبة سنة 1031م وبداية مرحلة ملوك الطوائف الذين اقتسموا الأندلس واستقل كل واحد منهم بإمارته إلى نهاية الوجود العربي بإسبانيا بسقوط غرناطة سنة 1492م.

ومعلوم أن إشعاع الأندلس الثقافي قد استمر قوياً رغم الانحطاط السياسي لأن أصحاب الإمارات ظلوا يتنافسون فيما بينهم على استضافة العلماء وحيازة المخطوطات.. إلخ[1].

وقد كان المجتمع الأندلسي بعد رحيل السلطة العربية يتشكل من ثلاث فئات هي: العرب واليهود والمستعربين les mozarabes، أي الساكنة التي تعرّبت إلى حدّ ما ولكنها بقيت على دينها المسيحي. ثم ابتداء من القرن الثاني عشر ستنضاف إليهم أعداد من رجال الكنيسة الذين استقدمتهم السلطات الدينية لطليطلة خاصة من فرنسا.

وقد نجم عن هذا التعدد الإثني تعدد لغوي تميزت فيه اللغات التالية:

- اللهجات الأمازيغية، ولم يكن لها دور في حركة الترجمة لكونها تعتمد على التداول الشفوي.

- اللغة العربية الكلاسيكية وظلت لعدة قرون لاحقة متداولة كتابة وقراءة.

- الرومانس le romance، وهي اللهجة الأهلية المشتقة عن اللاتينية، التي ستنبثق عنها اللغة الإسبانية القشتالية.

- اللغة العبرية، وكان يتحدثها رجال الدين وعلماء اليهود حصراً.

(1) Ibid. p. 8.

لكن العربية والقشتالية كانتا هما اللغتان الأكثر تداولاً في الحديث والكتابة لدى الأندلسيين، وشكلتا نوعاً من الازدواج اللغوي لدى مستعربي طليطلة، وذلك حتى أواخر القرن الثالث عشر حيث ستتراجع العربية لصالح القشتالية.

وبعد أن استعاد الملك ألفونس السادس مدينة طليطلة في 25 ماي 1085م، أي بعد 373 سنة من الوجود العربي، سوف يتجدد ويزداد تأثير اللغة اللاتينية التي كانت لغة رجال الكنيسة في المقام الأول. على أن العربية ستظل لغة النخبة المستعربة واليهودية إلى حدود القرن السادس عشر الميلادي، تاريخ اختفائها النهائي من طليطلة[1].

ويبدو أن حركة الترجمة بالأندلس قد مرّت بثلاث مراحل أساسية:[2]

- طور الانطلاق والإشعاع خلال القرن 12م.
- الطور المركزي خلال القرن 13م.
- بداية الأفول خلال القرن 14م.

على أن الوقائع تخبرنا بأنه منذ القرن العاشر الميلادي سيشرع مسيحيو إسبانيا في الوعي بأهمية ترجمة التراث العلمي والفلسفي الذي خلّفه العرب بالأندلس، لكن بداية الاتصال المباشر بهذه المعارف لن يتمّ إلا أواخر القرن لحلحادي عشر عندما سيشرع اليهودي المتمسّح بيدرو ألفونسو Pedro Al-fonso في ترجمة بعض المؤلفات العربية في علم الفلك من اللغة العربية إلى اللاتينية[3].

وتتزامن انطلاقة أعمال مدرسة طليطلة مع النصف الثاني من القرن 12م

(1) Ibid. pp. 14 – 16.
(2) Ibid. p. 4.
(3) Ibid. p. 17.

في أعقــاب اكتشاف الإسبان للنتــف الأولى من المعــارف العلمية والفلسفية الموروثة عن الوجود العربي في شبه الجزيرة الإيبيرية.

وكانت حركة استعادة العــالم الغربي لتراث أسلافهم الإغريق قد مرت من طورين:

– طور مدرسة بغداد وشهد أعمال الترجمة الأولى من اليونانية إلى العربية بين القرنين الثامن والعاشر الميلاديين.

– طــور مدرســة طليطلة التــي استكملت هذه الحركة الواسعــة بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين[1].

وإذا كنــا قــد تعرفنا على تجربــة مدرسة بغداد، ووقفنا علــى أبرز أعلامها وإنتاجاتها في الصفحات السابقة، فإن الدور الآن على مدرسة طليطلة لنلقي بعض الضــوء على نشأتها وبيــان الخلفيات التي تحكمــت فيها والمرجعيات التــي نهلت منها.. وكل ذلــك في أفق الإلمام ببعض ما يفيدنا في الوقوف على دينامية الترجمة والأدوار التشييدية التي نهضت بها.

لعلــه من نافلة القــول إن التعدد اللغوي والثقافي للساكنــة الأندلسية والمناخ السياسي المناسب في البلاد قد ساعد بكل تأكيد على ازدهار حركة الترجمة طــوال القــرن 12م. ولكن يبدو أن الأعمــال الحربية كانت تحــدّ أحياناً من جــذوة عملية التبــادل الثقافي المتواصلة، كما أن بعض رجال الكنيسة كانوا ينظــرون بغير عين الرضا لحركة النقل عــن العربية التي كانت تمثل لديهم «لغة أعداء الدين»[2].

وعلينــا أن نذكر منذ البدايــة بأن حركة الترجمة لهــذه الحقبة قد تحكمت

(1) Ibid. p. 4.

(2) Ibid. pp. 18 – 19.

فيها سلطتان مرتبطان بمصالح متصارعة أحياناً هما:

- السلطة البابوية والمؤسسات الكنسية التابعة لها.

- السلطة الإمبراطورية والدولة المنبثقة عنها.

وقد مثل هاتين السلطتين عنصران بشريان ساهما بفعالية في إطلاق وتدبير حركة الترجمة في طليطلة وهما: المطران رايمون Raymand عن الكنيسة، والملك ألفونس العاشر عن الدولة.

وكان رايمون هذا الذي عيّنه البابا بتوصية من الملك ألفونس السابع أسقفاً ثم مطراناً على طليطلة بين 1125و1152 تاريخ وفاته، قد اشتهر إلى جانب خدماته العديدة لصالح رجال الكنيسة وساكنة طليطلة عموماً بأنه أول الدعاة إلى ترجمة المؤلفات العربية في العلوم والفلسفة. وهي الحركة التي توّجها بتأسيس مدرسة طليطلة للترجمة، حيث جمع لفيفاً من المترجمين المسيحيين والعرب واليهود وأوعز إليهم بترجمة تلك الأعمال الفلسفية العربية إلى اللغة اللاتينية، وكانت الترجمات قبل رايمون تقتصر على المؤلفات العلمية الدقيقة كالفلك والرياضيات ولا تتجاوزها إلى كتب الفلسفة[1].

أما الوجه الثاني الذي شجع الترجمة ورعاها، فهو الملك ألفونس العاشر الذي حكم قشتالة بين 1252 و1284. وقد عاصر لويس التاسع ملك فرنسا، وفريديريك الثاني ملك إيطاليا، وهما من أبرز ملوك الغرب المسيحي خلال القرن 13م.

وقد قال فيه أحد المؤرخين إنه «من كثرة ما رفع رأسه إلى السماء فقدَ عرشه»، إشارة إلى فرط استغراقه في العلوم الفلكية الذي كان سبباً في

---

(1) Ibid. pp. 20 – 21.

إهماله لأمور الدولة.

وكان ألفونسو العاشر هذا قد ولد في طليطلة سنة 1221م واشتهر باسم «الحكيم»، وتولّى بعد وفاة والده الملك فيرديناند الثالث سنة 1252م، وبقي في الحكم إلى حين وفاته بإشبيلية سنة 1284م وهو في الثانية والستين من عمره. وقد تميز حكمه بقلة الحزم والتراخي عن مباشرة أمور الدولة مما تسبّب في نشوب حرب أهلية في نهاية حكمه، كما أثار غضب رجال الكنسية عليه لتقريبه العنصر اليهودي في البلاط.

لكن الجميع يتّفق على أهمية الدور الثقافي الذي قام به حتى قبل أن يتولى الحكم، فقد أمر سنة 1151م بإعداد أول ترجمة إسبانية لكتاب «كليلة ودمنة»، وهو المؤلف المعروف ذو الأصل الهندي الذي كُتب في القرن الرابع وترجمه إلى العربية عبدالله بن المقفّع في القرن الثامن.

وسوف يكون لهذا الكتاب تأثير كبير على تاريخ الآداب الغربية قاطبة حيث دشّن للكتابة الحكائية التي من أبرز نماذجها le roman du Renard، وقصص بوكاشيو وخرافات لافونتين.. إلخ[1].

وتكمن أهمية مبادرة ألفونس العاشر في أمرين غير مسبوقين: كونه أول مَن انزاح عن ترجمة المؤلفات العلمية والنفعية إلى مؤلف تخييلي، ثم استعماله اللغة الإسبانية القشتالية بدلاً من اللاتينية.

من جهة أخرى فقد اشتملت الأعمال التي أشرف على ترجمتها الملك ألفونس العاشر على ألوان جديدة من المعارف لم تكن مألوفة لدى مترجمي المرحلة، وهي تغطي خمسة ميادين مختلفة هي: القانون والتاريخ والعلوم

(1) Vernet. Juan: Ce que la culture doit aux arabes. Paris. Sindbad. 1985. pp313 – 317.

والآداب ومؤلفات التسلية (كالشطرنج والنرد.. إلخ).. غير أن اهتمامه الأساسي والدائم كان منصرفاً إلى علمي الفلك والتنجيم.

وقد بلغ من شدة اهتمامه بتوسيع الاستفادة ممّا يُترجم في بلاطه من العربية إلى القشتالية أنه أمر بترجمة أهمّها إلى اللغة اللاتينية والفرنسية ليُتاح بذلك لبني عقيدته الاطلاع على المعرفة الموروثة عن العرب.

كما كان من مألوفه أن يطلب إعادةَ ترجمةٍ لم تلق لديه قبولاً، أو الدعوة إلى تصحيح أخرى ومراجعتها أو التعليق عليها، مما يدل على مأخذ الجد والحزم الذي كان يأخذ به مشروعه. كما كان يقوم باختيار النصوص المعدة للترجمة ويحدد طريقة العمل عليها وينسق بين المترجمين القائمين على إنجازها. هذا فضلاً عن أنه كان المموّل الأساسي لكل هذه المشاريع.

وقد ترتب عن هذا الحرص الشخصي على التدبير الدقيق لمشروع الترجمة أن ضمن لهذه الأعمال المترجمة في عهده الوحدة والانسجام اللذين كانا مفتقدين في القرن الماضي[1].

فئات المترجمين الأندلسيين

لم يكن يُعترف للترجمة في أندلس القرنين 12 و13 باعتبارها مهنة مستقلّة. وغاية ما كان يبلغه المترجم من قيمة أن يُشار إليه تارة بوصفه عضواً في الكنيسة مسؤولاً عن الترجمة (ق12)، أو باعتباره «أستاذاً» (هكذا بالعربية) يعمل في خدمة الملك (ق13). ذلك أن الترجمة كانت تشكل جزءاً لا يتجزأ من نشاط المثقفين تماماً كالقراءة والكتابة.. هذا من جهة وضعهم الاعتباري، أما من حيث انتماءاتهم الترابية فقد كان قطاع منهم

(1) Foz. op. cit. pp23 – 32.

ينتسب لشبه الجزيرة الإيبيرية، وآخرون جاؤوا إليها من خارجها كإنجلترا وإيطاليا مثلاً. وفي كلتا الحالتين فقد كانوا يرتبطون بهذه الطريقة أو تلك بحركة الترجمة التي ازدهرت خلال القرن الثاني عشر بإسبانيا وخاصة بطليطلة..

أما المترجمون أنفسهم فكانوا ينقسمون إلى فئتين أو جيلين:

- المترجمون اللاتينيون (ق12)، ومعظمهم من علماء اليهود العارفين بالعلوم والفلسفة العربية، وسمّوا كذلك لأنهم كانوا يترجمون إلى اللاتينية لغة الكنيسة والعلم في العالم الغربي خلال تلك الحقبة.

- المترجمون الألفونسيون (ق13)، ولقّبوا كذلك لارتباطهم بالملك ألفونس العاشر الذي تولّى سنة 1252 واشتهر بالمشروع الترجمي الواسع الذي قام برعايته وتمويله.

- اللاتينيون: مترجمو الحقبة الأولى (ق 12). ويتوزعون إلى لائحة مشكلة من مجموعتين تنتمي كل واحدة منهما لجيل، وفيما نظن فهذه اللائحة تظهر لأول مرة بالعربية نقلاً عن أطروحة الباحثة كلارا فوز[1] وغيرها من مؤرخي الترجمة في هذه الحقبة.

فمن الجيل الأول تبرز أسماء المترجمين التاليين:

1 - أبراهام أبا حيّا Abraham Bar Yayya، المعروف كذلك بأبراهام اليهودي وبسفاسوردا Savasorda. وقد نشأ في الأندلس واستقر ببرشلونة حيث عمل لعدة سنوات قبل أن يشترك مع المترجم الإيطالي أفلاطون التيفولي Platon de Tivoli كمترجم شفوي مساعد من العربية إلى

(1) Ibid. pp. 52 – 43.

الإسبانيــة، إذ لمّــا كان أفلاطــون هذا غــير متمكن من العربيــة فإنه احتاج إلــى وساطته لتحرير النص اللاتيني. وقد أنتج هذان المترجمان بين 1134 و1145 حــوالي عشــر ترجمات عن العربية في مجــالات الرياضيات والفلك والتنجيم.

2 – أبراهــام أبا عزرا Abraham B. Ezra، وهو يهودي معاصر للسابق وقد ولــد في إسبانيا أواخر القرن الحادي عشر وتوفي سنة 1167. وبعد أن طاف في أنحــاء أوروبا استقر به المقام لفترات في إيطاليا وفرنسا وإنجلترا. وكان على معرفة باللغات العربية والعبرية والإسبانية واللاتينية، واهتمّ أساساً في ترجماته بالعلوم الرياضية والفلكية وترجم عدداً من كتبهما عن العربية.

3 – أديــلارد الباثــي Adelard de Bathe، وهــو قسّ إنجليــزي ولد حوالي 1080 واستقر في شبابه بمدينة تور الفرنسية حيث عمل تحت رعاية أسقفها علــى ترجمة المخطوطات العربية ذات الأصل الإسباني وخاصة منها المهتمة بالعلــوم الطبيعية والرياضية، وعُرف بترجمته لكتــاب «العناصر» لأقليدس الــذي نقله من مصادر عربية إلى اللغة اللاتينية. كما ترجم كتاباً في الفلك للخوارزمي وآخر مخصصاً للأرقام العربية.

وإلى هذا المترجم يعــود الفضل في فتح أعين اللاتينيين على أهمية الأعمال العلميــة العربية في هــذا الوقت المبكر من حركة الترجمــة. وقد استفاد من كونه «أجنبياً» للتحرر من سلطة الكنيسة الإسبانية عند اختيار ترجماته.

4 – دومينيــك غونديسالفــي Dominique Gundisalvi، وقــد نشــط بــين 1130 و1180، واهتــم خاصة بترجمة المؤلفات الفلسفية العربية فنقل كتاب «مقاصــد الفلسفة» للغزالي إلى اللاتينية وأربعــة كتب للفارابي واثنين لابن سينا.

5 – هيرمـان الدلماطـي Hermann le Dalmate، وهو رجـل دين من أصل سـلافي عاش بين 1113 و1154، وظهرت ترجماتـه في الفترة ما بين 1138 و1143. وكان قد درس في فرنسا وانتقل للعمل في إسبانيا تحت رعاية القس بيـير المبجـل P.le Vénérable. ويقال بأنـه أسهم في ترجمـة القرآن التي أشرف عليها هذا الأخير حوالي 1142[1].

6 – هوج السنطالي Hugues de Santalla، وهو قس إسباني برز في الفترة مـا بـين 1119 و1151. وقـد عمل تحت إمـرة المطران ميشال ثـم رايمون، وشارك في ترجمة العديد من المؤلفات العربية إلى اللاتينية خاصة في علمي الفلك والتنجيم.

7 – خـوان الإشبيلـي Jean de Séville ، وقـد اختُلـف كثـيراً بشأن حقيقة وهويـة هذا المترجم لقلّة المعلومات المتاحة حول حياته وأعماله. ولكن يُرجح أنـه كان مستعربـاً إسبانيـاً عاش وعمل في طليطلة في الفـترة ما بين 1130 و1180 حيث ترجم العديد مـن المؤلفات العلمية العربية إلى اللغة اللاتينية في ميادين الفلك والتنجيم والحساب والطب.. ويقال بأنه بلغ من استقلاله أنه كان يختار هو نفسه المؤلفات التي يقوم بترجمتها.

8 – بيـير ألفونـس Pierre Alphonse، وهـو يهـودي إسبـاني تحـوّل إلـى المسيحيـة حـوالي 1106 بعد أن جاوز الأربعين من عمـره. عاش في إنجلترا حيـث عمـل كطبيب في بـلاط الملـك هـنري الأول (1100 – 1135)، ونقل عـن العربية العديد من كتب علم الفلك من أبرزهـا كتاب للخوارزمي حول حسـاب النجوم.. وهو معروف لدى مؤرخـي العصر الوسيط بترجمته كتاباً يضم خرافات وحكايات ذات أصل عربي وهندي وجّهه لتربية رجال الدين.

(1) Le Goff. Jacques:Les intellectuels au moyen Age. Paris، Seuil، 1985. pp. 20 – 21.

9 – روبير الشيشتري Robert de Chester، وهو رجل دين إنجليزي جاب أنحاء أوروبا وآسيا قبل أن يحلّ بإسبانيا «أرض المعارف الجديدة» في العالم الغربي لتلك الحقبة، وعاش فيها بين 1140 و1147 حيث ترجم كتاب «الجبر» للخوارزمي وعدداً من مؤلفات الكيمياء وعلم الفلك.. ويقال بأنه شارك كذلك في إعداد الترجمة اللاتينية للقرآن ضمن المشروع المذكور سابقاً.

ومن الجيل الثاني من جماعة اللاتينيين من مترجمي طليطلة يبرز اسم أساسي طبقت شهرته آفاق العصر الوسيط هو:

جيرار الكريموني 1116 – 1187 Gérard de Crémone، وينسب إلى مكان ولادته بمدينة كريمونا الإيطالية، درس الفلسفة في عدة أقطار أوروبية، وكانت له معرفة عميقة بالثقافة اللاتينية. جاء إلى طليطلة سنة 1141 بحثاً عن كتاب «المجسطي» لبطليموس الذي لم يعثر له على أثر في العالم اللاتيني. وأمام وفرة الكتب العربية التي وجدها في العاصمة القشتالية قرّر الإقامة بها وشرع في تعلّم اللغة العربية. وإذا كان قد اشتهر ضمن هذا الجيل بترجمته لكتاب بطليموس المذكور فإن مؤرخي الترجمة في العصر الوسيط قد أحصوا له أكثر من تسعين مؤلفاً مترجماً عن العربية في مجالات الهندسة وعلم الفلك والفلسفة والطب والمنطق والكيمياء والرياضيات والفيزياء. وهذه الوفرة غير المعهودة تجعلنا نفترض أنه لم يكن يشتغل بمفرده وإنما محاطاً بمجموعة من المساعدين كانوا يعملون تحت إدارته.

ومن أهم الأسماء العربية التي ترجم لها جيرار الكريموني نجد الخوارزمي وابن سينا والكندي والفارابي.. ومن اليونان أوقليدس وبطليموس وأرسطو وهيبوقراط..

وسوف تمكنه الثلاثون سنة التي أمضاها في طليطلة من أن يكون من أكبر

المساهمين في استعادة التراث المعرفي العربي الذي نقله بكل هذا الاتساع والعمق من مختلف المجالات إلى اللاتينية، وقد استحق لأجل ذلك أن يكون على رأس الجيل الثاني من مترجمي القرن 12 [1].

ملاحظات حول طبقة المترجمين اللاتينيين

بوسعنا ونحن نستعرض جهود مترجمي العصر الوسيط في بلاد الأندلس، وخاصة منهم الذين ارتبطوا بمدرسة طليطلة، أن نمسك ببعض السمات العامة التي من شأنها أن تقرّبنا من التعرف ببعض العمق على جذور ومسار ومآل هذه الحركة[2].

– كون غالبية هؤلاء المترجمين الذين أسهموا في هذه الحركة لم يكونوا من أبناء شبه الجزيرة الإيبيرية، بل جاؤوا إليها من الأراضي الأجنبية وأساساً من إيطاليا والجزر البريطانية.. وهذا الأمر يشير إلى الطابع «العالمي أو الدولي» لهذا المشروع الذي كانت اللغة المشتركة فيه بين جميع المترجمين هي اللغة اللاتينية. ويدلنا على ذلك أيضاً اقتران أسماء معظمهم بالمدن التي ينتسبون إليها.

– من أبرز ما يلاحظ على غالبيتهم كذلك أنهم كانوا على علاقة بالكنيسة. وعبر انتسابهم لهذه المؤسسة الأخيرة والدور الذي كانوا يشغلونه فيها (قس – أسقف – مطران) كانت تتحدد صفتهم ومرتبتهم الاجتماعية. وذلك بغض النظر عما إذا كانوا ينحدرون من أوساط مسيحية أصلاً أو كان هذا الانتساب حديث العهد أي وليد اعتناقهم المتأخر للمسيحية، وهي حالة عدد من أعضاء الجالية اليهودية الذين شاركوا في أعمال الترجمة.

(1) Foz. op. cit. pp23 – 32.

(2) Ibid. pp. 55 – 59.

- ومن جهة أخرى فهم يشتركون في الانتماء إلى النخبة المثقفة، أي إلى تلك الأقلية التي تعرف القراءة والكتابة وتمتلك إلى جانب لغتها الأم لغة ثانية أو ثالثة تكون غالباً هي «لغة العمل» أي اللاتينية تحديداً.

وقد كانت غاية هؤلاء جميعاً ذات طبيعة سياسية وثقافية معاً، وهي إغناء اللغة والثقافة اللاتينية وجعلها في خدمة الكنيسة المسيحية، وإلى ذلك فقد كانوا جميعاً يعملون من أجل هدف ديني واحد هو استرجاع الأعمال «الموروثة عن الكفار»، أي العرب المسلمين، وجعلها في خدمة الكنيسة ومصلحة العالم اللاتيني.

- كانت موضوعات المؤلفات التي ترجموها في غالب الأوقات شديدة التخصص والتنوع في نفس الآن. وسنلاحظ أن كل مترجم من هؤلاء كان يميل إلى موضوع أو علم محدد «يتخصص» تقريباً في ترجمته. ومن ذلك أن أبراهام أبارحيا وأفلاطون التيفولي سيكرسان جهودهما لترجمة الرياضيات العربية حصراً، بينما سيعمل أبراهام أباعزرا وبيير ألفونس وهوج السنطالي ورودلف البروكي على ترجمة علمي الفلك والتنجيم، في حين سينفرد غونديسالفي بترجمة كتب الفلسفة، وأضاف هيرمان الألماني إلى الفلسفة مؤلفات الأدب وفنون البلاغة خاصة أرسطو. على أن خوان الإشبيلي وجيرار الكريموني الملمع إليهما سالفاً سيشكلان استثناء للقاعدة بإقدامهما على ترجمة كل هذه العلوم والمعارف مجتمعة.

وفي هذا السياق كذلك نشير بصدد هؤلاء المترجمين بأن معظمهم كانوا يجمعون في عملهم بين الترجمة وبين التأليف بمعنى الكلمة في المجال الذي يعنيهم، وهذا يدلنا على ارتباط النقل إلى اللاتينية لديهم باكتساب المعرفة وإعادة إنتاجها.

ومن المؤسف أن معرفتنا النسبية بشخصيات ومسارات وإنتاجات هؤلاء المترجمين لا تخبرنا بدقة عن المكانة التي كانوا يشغلونها في المجتمع الإسباني للقرن الثاني عشر. فلا شيء مثلاً يدلنا على أن أنشطتهم في مجال الترجمة قد مكّنتهم من حيازة وضع اعتباري ذي امتياز من نوع ذلك الذي استفاد منه مترجمو بغداد الذين كانوا يحيطون بحنين بن إسحق مؤسس بيت الحكمة وينالون مقابل ترجماتهم عن اليونانية مزيد الاعتبار والمال الوفير، ولا فيما إذا كان وضعاً شبيهاً بمترجمي عصر النهضة الذين كانوا ينقلون عن اللاتينية إلى اللغات الأهلية ولم يكونوا يخفون أهدافهم النفعية والمادية.

وعموماً فلم يسبق لأحد منهم أن حدّثنا في مسألة المكافأة أو التعويض الذي ناله مقابل عمل الترجمة. غير أننا نستشف من كلام بعضهم في مقدمات ترجماتهم أن هذا النشاط لم يكن يدرّ عليهم ما يكفي من الريع بحيث يصرفهم عن تلمّس أرزاقهم في أنشطة أخرى أوفر نفعاً وأكثر جلباً للاعتراف[1].

مترجمو الحقبة الانتقالية: (بين القرنين 12و13)

لم تتوقف حركة الترجمة في الأندلس بعد 1187، تاريخ وفاة جيرار الكريموني، فبعض مترجمي القرن 12 استمروا نشيطين في مطلع القرن 13، وذلك نصف قرن قبل بداية أعمال الترجمة التي ترأسها ألفونس العاشر. وقد شهدت هذه الفترة استمرار أربعة مترجمين أساسيين ثلاثة منهم أجانب اجتذبتهم إسبانيا باعتبارها بلاد المعارف الجديدة والآفاق

(1) Burnett. Pp. 109 – 112.

الرحبة، وهم[1]:

1 – ألفريـد السرشلي Alfred de Sarshal، وهو إنجليزي درس الفلسفة في بـلاده ثم في فرنسا وإيطاليا قبـل أن يحلّ بإسبانيا أوائل القرن 13، وهناك سيوقّع عدداً من المترجمات من العربية إلى اللاتينية أهمها كتاب لابن سينا وآخـر في علم النبات لنيقولاي الدمشقي Nicolas de Damas انطلاقاً من الترجمـة العربيـة لحنـين بـن إسحـق (262 – 260 : Vernet)، وقد كان يساعده يهودي باسم سليمان بن زهرة Salomon Avanraza.

2 – هيرمـان الألماني Hermann l›allmand، وهـو رجل دين من أصل ألماني تـوفي حوالي 1272، وقد عمل في مدرسة طليطلة بين 1240 و1246 ، ثم انتقل إلى جنوب إيطاليا للعمل في بلاط الملك مانفريد Manfred بين 1258 و 1266. وقـد توزعته الكنيسة والبـلاط وأنتج عـدداً من الترجمـات الفلسفية خاصة لأرسطـو وابن سينـا وابن رشد، واشتهـر خاصة بترجمته كتـاب «فن الشعر» لأرسطو وكتاب «البلاغة» المصحوب بالتعليق العربي الذي كتبه عليه الفارابي.

3 – مـارك الطليطلـي Marc de Tolède، وهـو إسبـاني ازداد في طليطلـة وبهـا تلقّـى تعليمـه وشغل عـدة مناصـب في الكنيسـة، وكان يتقـن اللغات العربيـة والقشتاليـة واللاتينيـة. مارس مهنـة الطب في أواخـر القرن 12 بمدينة مونبوليـي الفرنسية وسالرنة الإيطالية، وترجم العديد من المؤلفات الطبيـة العربيـة إلى اللاتينية خاصـة تلك التي نقلها حنـين بن إسحق عن اليونانية خـلال القرن التاسع. واشتهر كذلك بترجمتـه سنة 1209 للقرآن إلى اللاتينية بإيعاز من أسقف طليطلة إلى جانب العديد من الكتب الدينية الإسلامية. استقر بطليطلة إلى حين وفاته سنة 1234.

(1) Foz. op. cit. pp23 – 32.

4 – ميشـال سكـوت Michel Scot، ويعتبر أحد أبرز وجـوه العالم الأوروبي لبدايـة القرن 13. وهو من أصل سكوتلاندي حيـث ولد حوالي 1175. أقام في طليطلـة ونقل إلـى اللاتينية كتاباً في علـم الفلك ألفه العـالم الأندلسي البطرجـي أواخر القرن 12. انتقل إلى بلاط فريدريك الثاني بصقلية حيث اشتغـل بالفلسفة وعلم التنجيـم، ولذلك يتوزع إنتاجه إلـى مرحلة طليطلة ومرحلـة صقليـة. وكان يتقـن اللغـات العربيـة والعبريـة واللاتينية. ومن ترجماته كتاب في علم الحيوان لأرسطو نقله عن العربية في ثلاثة مجلدات. واهتم كذلك بالعلوم الرائجـة في عصره كعلم الفراسة واستحضار الأرواح وعلم النفس إلى جانب الخيمياء والطب وعلوم الأرصاد الجوية.. إلخ.

ويعتـبر هـؤلاء المترجمون الأربعة من أبـرز ورثة التقليد الثقـافي الذي ساد خلال النصف الأول من القرن 12، وهم يشتركون في الأصول الأجنبية غير الإسبانيـة باستثناء مارك الطليطلي، واشتهروا بثقافتهم الواسعة وإتقانهم العربيـة وارتباطهم بالكنيسة، كما عُرف عنهـم تقلّدهم لمناصب رسمية في البلاط، فميشال سكوت كان فيلسوف ومنجّم الملك فريدريك الثاني، وشغل هيرمان الألماني منصباً مهماً في بلاط الملك مانفريد.. إلخ.

الألفونسيون: مترجمو القرن 13

شملت الترجمات التي أشرف عليها الملك ألفونس العاشر بين 1252 و1284 العديـد من المخطوطات والمؤلفات العربية التـي جرى نقلها إلى الرومية أي القشتالية، وبنسبة أقل إلى اللاتينية والفرنسية. وأهم هذه الترجمات تمت في الفترة الأولى من حكمه بين 1252 و1260.

ذلك أن العقد اللاحق سيشهـد العديد من الأحداث السياسية التي قلّصت

مـن النشاط الترجمي إلـى الحدّ الأدنى، لكن سيُفسح المجـال أمام أنشطة أخـرى موازية أسهمت الترجمة في إطلاقهـا ثم في ترسيخها وازدهارها في الفترة ما بين 1271 و1284.. وخاصة منها التوجّه نحو التأليف انطلاقاً من نصوص عربية أو إعداد صيغ باللاتينية والفرنسية لنصوص تمّت ترجمتها سابقاً أو القيام بتصحيح ترجمات سابقة ومراجعتها.. إلخ.

ومـن حيث الموضوعـات فقد ارتكز الإنتـاج الترجمي لحقبة الملـك ألفونس العاشر بالخصوص على نقل مؤلفات علوم الفلك والتنجيم ومؤلفات التسلية كالشطـرنج والنرد.. كما ضمت بعضـ النصوص الدينية الإسلامية كقصة الإسراء والمعراج مثلاً.

والملاحـظ أن الترجمـة قـد أصبحت في هذا القـرن أكثر تنظيمـاً وتنسيقاً حيـث كان العمـل يتم ضمن مجموعـات يشرف الملك بنفسـه على التنسيق بـين أعضائها ويوزع المهام عليها بنفس الطريقة تقريباً التي كان معمولاً بها في مدرسـة بغداد خلال القـرن التاسع والتي كان يشترك فيها المنقبون على النصوص والمترجمون والمراجعون والنسّاخون ومجلدو الكتب.. إلخ[1].

ملاحظات حول طبقة المترجمين الألفونسيين

تميـز جيـل المترجمين الذيـن عملوا تحـت إشراف الملـك ألفونـس العاشر باستقلالـه النسبـي عن سلطة الكنيسـة وبطريقة العمـل الجماعي المنظم وذلـك مقارنـة مع أسلافهم من مترجمـي القرن 12 الذيـن كانوا يأتمرون بأوامر رجال الكنيسة في مختلف مراحل الترجمة.

واستنـاداً إلى المعلومات الواردة في مقدمـات الترجمات المنجزة تحت رعاية هذا

(1) Ibid. p. 65.

الملك نستطيع أن نكوّن فكرة تقريبية عن أصول المترجمين المتدخلين في المشروع[1].

فقد كان الإيطاليون يشكلون لوحدهم ثلث المترجمين، ولكن الأعمال المنسوبة إليهم لا تتجاوز الخمسة باللاتينية والفرنسية منقولة عن صيغ إسبانية لمؤلفات عربية، وهذا الحضور الإيطالي له دلالة سياسية أكثر منها ثقافية فقد كان موجهاً أساساً لدعم جهود الملك ألفونس العاشر.

وأما الثلثان الباقيان فيتشكلان من عناصر ذات أصل إسباني، سواء أكانوا مسيحيين أم يهوداً. واختيار هؤلاء له صلة بقرار ألفونس العاشر التخفيف من هيمنة اللغة اللاتينية التي كانت تعتبر لغة العلم والتواصل في العالم الغربي، واتخاذ اللغة القشتالية لغة هدفاً بدلاً من اللاتينية.. ولذلك جاء اختياره الإسبان ممن يتقنون هذه اللغة لكونهم الأقدر على نقل المؤلفات المحررة بالعربية من زملائهم الناطقين باللاتينية الذين كان عددهم قد قلّ بما لا يقاس عنه في القرن السابق.

وبالنسبة للمترجمين ذوي الديانة اليهودية المتواجدين بكثرة في بلاط الملك فقد كانوا ينتسبون إلى العائلات اليهودية الكبرى التي عمل أبناؤها في مهن الطب والديبلوماسية في بلاطات الملوك الإسبان خلال العصر الوسيط، ومنهم من كان يشغل وظائف دينية عليا، وقد اشتهر هؤلاء بكونهم متعددي اللغات وذوي إلمام واسع بالعلوم والمعارف الوقتية.

ومن جهة موضوعات الترجمة انصبت أهم الترجمات في هذا العهد على علمي الفلك والتنجيم، ومن هنا محدوديتها من حيث التنوع مقارنة مع القرن الماضي (ق12) حيث رجحت كفّة ترجمات الطب والرياضيات والفلسفة. ويبدو أن سبب ذلك هو الخضوع لذوق ورغبات الملك الراعي

(1) Ibid. pp. 75 – 77.

للمشـــروع. فإذا كان هاجس المترجمين السابقين هو تدارك التأخر بالإغناء العلمـــي والفكري لثقافتهم اللاتينية التي كانـــت تشكو من الضعف في جميع المجـــالات، فإنه يبدو في هذا العصر أنه حصل نـــوع من الإشباع في المعارف العامة ومن هنا الميل إلى الانحسار ضمن دائرة العلوم متزايدة الإغراء.

أمـــا من حيث المكان الذي كانـــت تدور فيه أنشطة الترجمـــة فقد مال أغلب مؤرخي الترجمـــة في العصر الوسيط إلى الاعتقاد بأن أعمال الترجمة التي أشـــرف عليهـــا ألفونس العاشر كانت تتم في قصـــره المسمى سان سيرفاندو بطليطلـــة، لكـــن آخرين يـــرون أنها كانت تجـــري في مدينـــة إشبيلية الموطن المحبب لإقامة الملك، وحيث أوصى أن يوارى التراب.

وكان اختيـــار المؤلفات واقتراحها للترجمة في العهد السابق يعود للمترجمين أنفسهـــم وأحياناً للقائمين عليهم مـــن رجال الكنيسة أو البلاط، أما في هذه الحقبـــة فقد أصبح الاختيار بيد الملك ألفونس العاشر نفسه، فهو الذي كان يحكـــم ذوقه في انتقاء ما يراه من نصوص ويعرضها على مترجميه لمباشرة العمل فيها أولاً بأول.

وكانـــت طريقـــة الترجمة في السابـــق تتم بأن يجمع المترجـــم الرئيسي حوله عـــدداً كبـــيراً من العلمـــاء ورجـــال الأدب يعملون معه في الترجمـــة التي كان يوقّعهـــا بمفـــرده، الشيء الذي ينتـــج عنه ذلك العدد الهائـــل من الترجمات التـــي خلّفها كبـــار المترجمين من مثل جيرار الكريمـــوني، بينما ظلت أسماء معاونيه محتجبة وتعيش في الظل.

لكـــن الأمر سيتغير في المشـــروع الذي رعاه الملك ألفونـــس العاشر، فبالرغم مـــن أن المؤلفات المترجمة كانت تحرر باسمه وتـــودع في مكتبته، فإنها كانت تشـــير في مقدماتهـــا إلى أسماء جميـــع المتدخلين وصفاتهم، ونـــادراً ما كان

الملـك يوكل الترجمة لمترجم فـرد اللهم عندما يتعلق الأمـر بكتاب سبق أن تُرجم من العربية إلى القشتالية ويرغب في نقله إلى لغة ثالثة.

وربمـا كان الاستثنـاء الوحيد هو المترجـم اليهودي إسحق أبـا سعيد الذي كان الملـك يكلّفه بمفرده بترجمـة بعض المؤلفات الفلكية لعلمه بأنه خبير في الموضوع ولا يحتاج إلى مشاركة من أحد.

وقـد كان يحـدث أن يعمد الدون ألفونس العاشر شخصيـاً إلى تنقيح بعض الترجمـات والتدخل فيها بالزيـادة والنقصان والشـروح والرسوم البيانية وتصحيـح اللغة حتـى يصبح المؤلف جديـراً بأن يجد مكانـه ضمن مكتبته الملكيـة العامـرة. وهنا نلمـس العناية الفائقـة التي كان يوليهـا المترجمون الألفونسيون لكمال ترجماتهم والارتقاء بمستواها شكلاً ومضموناً.

ومـع أن مترجمـي هذا العهد لم يكونوا يتوفرون علـى معاجم مزدوجة اللغة تسـدّ حاجتهم إلى التدقيـق في العبارة والمفاهيـم والمصطلحات الواردة في الكتب العربية والتي كانت مجهولة من لدن الغربيين اللهم من العارفين باللغة اليونانيـة، فإن أسلـوب العمل الجماعي والتعاون بـين متدخلين من مختلف الاختصاصات كان يعطي ثماره وينتج ترجمات ناجحة بكل المقاييس[1].

إشكالية الترجمة التعليقية

كانـت طريقة الترجمة المتبعة من طرف مترجمي العصر الوسيط الإسباني تقـوم في منتصـف المسافة بـين الترجمة والتعليـق الذي يُقصـد من ورائه الشـرح والتفسير، وهي نفس الطريقة التي سار عليها العرب في تعاملهم مع النصوص اليونانية الكبرى في مجال العلوم والفلسفة.

(1) Ibid. pp. 107 – 115.

وفي هذا الشأن يذكر إرنست رينان في كتابه «ابن رشد والرشدية» (1861) أنه مع ابن رشد وأعماله حول أرسطو ظهرت ثلاثة أنواع من التعليقات هي: التعليقات الكبرى حيث يستعيد ابن رشد كلام أرسطو بالتفصيل ثم يقوم بشرحه، والتعليقات المتوسطة وهي التي يقتصر فيها على تقديم الكلمات الأولى من فقرات النص الأرسطي ثم يتلوها بعبارات الفيلسوف أو المعلّق، وأخيراً المختصرات أو «العبارات الشارحة»، وهي التي ينقل فيها ملفوظات الفيلسوف مختلطة بكلام المعلق الذي يسمح لنفسه بكل التدخلات الممكنة كالزيادة والحذف والتدقيق.. إلخ.

وباتباع هذه الطريقة يبدو لنا تنوّع الممارسات الترجمية التي كان يلجأ إليها مترجمو هذا العصر، حيث يصبح نص الانطلاق وكأنه «مادة أولية» تخضع على يد المترجم لأشكال عديدة من التدخلات كالإضافة والحذف والتعديل والتعليق.

وقد كان من المألوف أن يُشار في مقدمة الترجمة إلى نوعية هذه التدخلات وإعطاء تبريرات لها. وهذا ما فعله مثلاً المترجم هوج السنطالي الذي قام في مقدمة ترجمته اللاتينية لأحد مؤلفات الخوارزمي بإعطاء تدقيقات حول الإضافات والتعديلات وأشكال الحذف التي أدخلها على النص. وكذلك كان يفعل الملك ألفونس العاشر نفسه عندما كان يشير إلى كل تلك التدخلات الحاصلة على النص العربي الأصلي.

وربما كان هذا الصنيع من قِبل المترجمين الإسبان يتصادى مع ما كان يظهر في النصوص العربية نفسها من استطرادات وتعليقات وتأويلات هي من وضع المترجم أو المعلّق العربي على النص اليوناني. فقد كان المترجمون العرب للنصوص الكبرى للعلوم والفلسفة الإغريقية لا يترددون في التدخل

بالتأمـل أو التحيـين أو الملاحظات الشخصية. فالكنـدي مثلاً كان يرى بأن فهـم نصوص قدمـاء الإغريق لا يمكـن أن يكون مجدياً مـا لم يتم التدخل فيـه بالتعليق الشخصي والتحيـين والشروح.. وهذا مـا كان يبرر به تدخله بالتعليقـات التـي يراهـا ضروريـة للفهـم. وإذا مـا استحضرنـا أن هؤلاء المترجمين كانوا يعملون على نصوص مخطوطة، أي متضمنة في ذاتها عدداً مـن أشكال الحذف والاستطراد، فلنا أن نتصـور مقدار الصعوبة المباشرة التي تعترض سبيل المترجم في ذلك العصر(1).

علـى أن تدخـلات المترجمـين الغربيـين في النقـول العربية خـلال العصر الوسيـط لم يكن وراءها أي شعـور بالتفوق أو أية نزعـة استحواذية من أي نـوع، بل ربمـا كان العكس هو الصحيح إذا صدقنـا تصريحات بعض هؤلاء المترجمـين أنفسهم الذين طالما ألحوا على فكرة أساسية ظلوا يعبرون عنها في مقدمـات ترجماتهم وهي ضعف مصادر الثقافة اللاتينية وعدم قدرتها علـى استيعاب المعرفة الإنسانية عالية الجودة التي كانت تتضمنها المؤلفات العربيـة. بل وذهـب بعضهم إلى حـدّ التعبير عن الوعي الشقـي الذي كان ينوبهـم من التأخر الذي يعـاني منه العالم الثقافي اللاتينـي عموماً.. ومن هنـا نشأت دون شك حاجتهم إلى تدعيم المعرفـة العربية المنقولة بالشروح والتعاليـق والإحـالات، أي كل ما يسهـل عبورها إلى مجالهـم الثقافي بأقل تعقيد ممكن، وبأكبر فائدة منتظرة.

وعـن ذلك يتحدث أحد كبار مترجمي المرحلـة هو أفلاطون التيفولي. فبعد أن يصـف تأخـر اللاتينيين مقارنة بالمصريـين واليونانيين بل حتى العرب، ويسخر من ادعائهم معرفة أسرار النجوم التي أخذوها عن المؤلفات العربية،

(1) Foz. op. cit. pp118 – 121 . et Libera : 17 – 29.

يتحدّاهـم أن يتوفروا على مؤلِّـف أو حتى شارح واحد يمكنهم الافتخار به.. وينتهي إلى الاعتراف بأن اللاتين ليست لهم من مكانة في عالم الكتب اللهم تلك التي «تحتفي بالهذيانات والأحلام وخرافات العجائز».. وبناء على ذلك يخلص إلى القول: «تحت تأثير هذا الوضع قـرّرت، أنا أفلاطون التيفولي، العمل على إغناء لغتنا في المواضع التي تشكو منها أكثر من غيرها، ناهلاً من كنوز اللغة الأجنبية (أي العربية) في حدود طاقتي وإمكانياتي الفكرية[1]».

وينقـل لوكـوف نصاً للمترجـم الإنجليزي دانيـال المـورلي D.de Morley ينـزاح فيه عن هـذا التفسير الثقـافي بضعف اللاتينية لصالـح رأي يعطي الاعتبـار لعنصر العصبيـة الدينية الـذي كان يقضي باستخـدام العقيدة كحافـز لقيام الترجمة مـن جهة، ومبرر لتحريف مقاصـد الأصول العربية والتلاعـب بحقائقها من جهة أخرى، يقول هـذا المترجم: «لقد أمرنا الرب بتجريد المصريين من كنوزهـم لنغني بها لغتنا العبرية. لنعمل إذن بوصايا الـرب ولنقمْ بعونـه بتجريد الفلاسفة الكافريـن (أي العرب) من حكمتهم وفصاحتهم لنغني بها دار الإيمان».

ونحن نفهم من هذه الرسالة أن الأمر يتعلق بالاستحواذ المنهجي الذي تأمر بـه الكنيسة على معـارف الأعداء في الديـن على اعتبـار أن خدمة الإيمان المسيحي لابدّ أن تمرّ عبر إبادة وتدمير مصادر المعرفة لدى الآخر[2].

فهـل يكون لهـذا الـوازع علاقة بتفشـي ظاهرة الابتعـاد عـن الأمانة ونبذ الدقـة في التعامل مع بعض المؤلفات العربية، وفي أحسـن الأحوال بإثقالها

(1) Foz. op. cit. pp118 – 121 . et Alverny، Marie Thérèse d' : Translations and Translators. in Renaissance and Renewal in the Twelfth Century. Oxford، Clarendon Press. 1982. p428.

(2) Le Goff. op. cit. pp 23 – 24.

بالهوامش والتعليقات وأشكال التدخل والحذف الواردة في الترجمات لوجه الدس والغيبة والطعن المبطن بالروح العلمية؟

تحولات مجال الترجمة في القرن 13

كانت أعمال الترجمة خلال هذا القرن قد أصبحت محدودة ووظائفها مختلفة عمّا كان عليه الأمر في القرن السابق، وذلك على الأقل لسببين:

– تناقص عدد المخطوطات العربية المرشحة للترجمة والتي استنفدها أو كادوا مترجمو القرن 12.

– واقع أن اهتمام الملك ألفونس العاشر كان منصرفاً أساساً إلى علم الفلك، وخاصة منه الشقّ التطبيقي أي علم التنجيم الذي كان الاعتقاد جارياً في تلك الحقبة بأنه مفيد في تسيير شؤون الدولة.

من مظاهر التحول كذلك ما شهدت هذه الحقبة من تراجع في استعمال اللاتينية التي ظلت لفترة طويلة لغة الكنيسة ووسيلة أساسية لتناقل المعرفة والفكر العلمي بأوروبا. ويعود فقدان اللاتينية لمركزيتها وكفها عن احتكار المجال اللساني إلى التغيّرات التي أصابت المشهد الثقافي للمرحلة والذي تميز بالخصوص بظهور الجامعات وتقلّص الدور التعليمي للكنيسة، وأساساً كانعكاس لضمور تأثير الكنيسة على تسيير شؤون الدولة انطلاقاً من بداية القرن 13، وخاصة بعد تولّي الملك ألفونس العاشر عرش إسبانيا (1252) ونضاله المشهود من أجل توسيع المسافة بين الكنيسة والدولة.

وقد نتج عن هذا الوضع الذي عاشته اللاتينية أن جرى الاعتراف تدريجياً بقدرة اللغات الشعبية كالإسبانية والفرنسية على التعبير عن الفكر، بل انتقلت هذه اللغة الأخيرة في وقت وجيز نسبياً إلى مرحلة جديدة قامت فيها

بالتصـدي لإعادة الترجمات المصاغة في اللاتينية والعمل على تصحيحها، بل والتأليف على منوال الأعمال المترجمة ذاتها، خاصة في مجال علم الفلك الـذي ظل يحظى بالأولويـة في هذه الحقبة المبكرة من نشـوء الفكر العلمي بأوروبا الوسيطة.

إن نصـف قـرن بالـكاد هـو الذي يفصـل بين جيـل المترجمـين اللاتينيين والمترجمـين الألفونسيـين، وهـي مـدة قصـيرة مقارنة مع تاريـخ الترجمة الطويـل. ومع ذلك فقـد انتقلت الترجمة عبرها من كونهـا مقاربة إلحاقية approche annexionniste أساسـاً إلـى مقاربـة إدماجيـة تمثّليـة ap- proche assimilatrice[1]، وكانـت النتيجـة أن تحوّل المثقـف المترجم إلى مترجم مثقف.

مشكلات الترجمة خلال القرن 12

تعاني مصادر المعلومـات المتصلة بالترجمات المنجزة خلال هذا القرن من المحدودية والاختلاط، وذلك بسبب عـدة عوامل منها اتّساع المتن المترجم، والمصاعـب المرتبطة بالتعرّف علـى المخطوطات والمؤلفـات المترجمة حيث كان يصعـب أحياناً التحقق من اللغـة التي نقلت عنها (العربية.. الرومية.. اليونانية أو السريانية وأحياناً العبرية..إلخ).

ونقـدم فيما يلي جـرداً بأهم هذه المشـكلات التي كشفت عنهـا الدراسات القطاعيـة التي تمّـت في الموضوع، وهـي تخبرنا عن نوعيـة المصاعب التي واجهت الغربيـين في التعامل مع الميراث العربي الأندلسي عند محاولة نقله أو الإفـادة منـه لبناء لبنات النهضة الأوروبية والخـروج من سبات العصور

(1) Foz. op. cit. pp126 – 128.

الوسطى.

1 – مشـكلات القراءة: كانت قراءة المخطوطات العربية تتم أحياناً بطريقة متسرّعـة أو سيّئـة لاسيمـا لدى قليلي المعرفـة باللغة العربيـة، خاصة فيما يتّصـل بأسماء الأعلام اليونان التي كان المترجم العربي يجهل رسمها ممّا كان يطرح على المترجم اللاتيني مشكل إعادتها إلى أصلها[1].

كما كانـت المسؤوليـة في رداءة المخطوطات تعود إلى عمـل النسّاخين الذي كانـوا يجهلـون في معظمهـم موضوعـات المخطوطـات فيخطئـون في رسم الكلمـات أو في وضع الأرقام والأعداد الشـيء الذي كانت تنجم عنه أخطاء فادحة تضلل المترجمين[2].

2 – يضـاف إلى سـوء المقروئية والرسم مشكل آخر عائـد إلى الافتقار إلى وسائل العمل التي يحتاجها المترجم، وفي مقدمتها المعاجم اللغوية أحادية أو مزدوجة اللغة. وكان غياب هذه الوسائل يزداد استفحالاً عندما يتعلق الأمر بموضوعات علميـة عالية التعقيد كالفلك والرياضيـات والطب والفلسفة.. إلخ. خاصة من جهة إيجاد المصطلحات العلمية الملائمة.

وقـد ترتب عن ذلـك مشكل عويص هـو كيفية إيجاد المصطلحـات المقابلة لتلـك الموضوعة بالعربية. وقد كان المترجمون العـرب للنصوص الإغريقية يجتهـدون مـا وسعهم لنحت المصطلحـات أو استمدادها مـن السريانية أو العبرية مما كان يبعدها عن أصلها، وبالتالي يعقّد مهمة المترجم اللاتيني. وكانت بعض الألفاظ المتعددة المعاني في العربية تمثل مصدراً إضافياً لمتاعب المترجـم، فمثلاً لفظـة «فصل» يمكنها أن تدلّ على التـوالي على (جزء من

(1) Vernet. op. cit. p111.

(2) Foz. op. cit. p126.

كتاب) و(فصل من فصول السنة) و(الفصل المنطقي بين الأنواع.. إلخ)[1].

إضافة إلى أن العديد من المصطلحات العلمية والفلسفية الواردة في النصوص العربية لا يوجد لها مقابل في اللاتينية، الأمر الذي كان يفرض على المترجم البحث عمّا يعبر عن المفهوم في لغته، هذا على فرض أنه فهمها واستوعب معناها. ولحلّ هذا المشكل كان المترجم يلجأ لإحدى طريقتين: فإما يعود بالمصطلح إلى أصله اليوناني القديم إذا تمكّن من ذلك، وإلا فإنه ينقله نقلاً حرفياً على الصورة التي ظهر عليها في المخطوط العربي.

وقد نجم عن استعمال هذه الطريقة الأخيرة دخول حوالي أربعة آلاف كلمة عربية إلى اللغة الإسبانية معظمها يبدأ بأداة التعريف العربية من قبيل:
..alcool.. algèbre .. algorithme .. amiral .. élixir

وينسحب هذا الأمر كذلك على أسماء الأعلام التي طرأ عليها هي الأخرى الكثير من التحريف مثل ابن رشد وابن سينا اللذين أصبحا (Averroés.. Avicena)[2].

ويشهد هذا الحضور الاصطلاحي العربي في متن اللغات الأوروبية الحديثة على تلك اللحظة التاريخية التي خلدها اللسان العربي وتركها شاهداً على إسهامه في الانتقال بالإنسانية من ظلمات العصور الوسطى إلى تنوير العصور الحديثة.

3 – المشكل الثالث الذي كان يصطدم به المترجمون يتصل بما يمكن تسميته بالفراغ المعرفي، أي بتلك الهوة القائمة بين الأفق الثقافي لكل من

(1) Lemay. Richard: Fautes et contresens dans les traductions arabo – latines médièvales. Revue de synthèse n° 3. Albin Michel. 1968. p50.

(2) Foz. op. cit. pp 131 – 133.

لغة الانطلاق (وهي العربية) ولغة الوصول (أي اللاتينية أو الرومية). فقد كان مترجمو المرحلة على جهل تام بالسياق التاريخي والجغرافي والسياسي والاجتماعي الذي تندرج ضمنه النصوص التي يباشرون ترجمتها.

وقد كان من نتائج ذلك العديد من أشكال الحذف التي يتخلّصون بواسطتها من المصاعب التي تصادفهم فيما يتّصل بما لا يعرفونه من تقاليد اجتماعية أو أماكن جغرافية أو أنظمة غريبة عنهم، مما كان ينعكس سلبياً على أمانة الترجمة ويمسّ بمصداقيتها[1].

مشكلات الترجمة في القرن 13

إن واقع كون مترجمي هذا القرن قد تميزوا في معظمهم بمؤهلات عليا علمياً ولغوياً، وكونهم كانوا يعملون بطريقة أكثر تنظيماً وعقلانية لم يجعلهم في مأمن من تلك الهنات والسقطات التي اعترضت أسلافهم. على أنه يجب الاعتراف بأن العناية التي كان يوليها راعي الترجمة في هذا العصر الملك ألفونس العاشر خاصة في مضمار انتقاء المؤلفات المرشحة للترجمة والوسائل التي كان يرصدها لجمع النصوص وتحقيقها، كل ذلك كان من شأنه أن يسهّل مهام المترجمين، كما أنه بقراره استبدال لغة الترجمة من اللاتينية إلى الرومية أي القشتالية، وتفضيله الانكباب على النصوص «سهلة الفهم»، إضافة إلى رغبته الاستفادة من جهود مترجمي القرن السابق، استطاع أن يحدث أثراً إيجابياً على حركة الترجمة في هذا القرن.

---

(1) Ibid. p. 134.

راجع مفهوم ودور الرؤية في الترجمة كما يوضحه جورج مونان في كتابه «المسائل النظرية في الترجمة» ترجمة لطيف زيتوني، دار المنتخب العربي، بيروت، 1994.

ومـع أن مشــاكل المترجمين الألفونسيــين لم تكن في حجـم أو تعقيد مشاكل زملائهـم اللاتينيين، فـإن الإشارة السريعة إلى بعض انعكاساتها بوسعها أن تحيطنــا علماً بالطبيعــة النوعية والتطورية التي صــارت عليها الممارسة الترجمية خلال هذه الحقبة، ومن ذلك تمثيلاً[1]:

– كثرة إيراد الشروح والتعليقات لسد ثغرات الترجمة التي يتسبب فيها تعدد الوسائـط اللغوية المعتمدة. ويقدم لنا إرنست رينــان مثالاً كاريكاتورياً نوعاً مــا عما سقطت فيه النقولات الغربية مــن التباس تحت تأثير هذه الظاهرة السلبيــة، فهو يذكر (1861) بأن السبب في فساد اللغة في مؤلفات ابن رشد يعــود إلى تعدد الوسائــط التي تدخلت فيها، وسيــزول الاستغراب عنده إذا علمنــا بأن «أعمال ابن رشد المطبوعة هي ترجمة إلى اللاتينية انطلاقاً من ترجمــة عبرية لتعليق قام به على ترجمة عربية عــن ترجمة سريانية لنص يوناني...».

وبغض النظــر عما يتضمنه هــذا المثال من غمز مقصــود وغير غريب عن المصــادر الاستشراقية، فإنه يدلنا على مأزق الترجمة بالوساطة خاصة من جهة انعكاسها على جودة الترجمة وضمور حصة الأمانة بين ثناياها.

– استمرار تحكم عناصر غير ثقافية في عمل المترجم مع تغيير واحد، ولكنه جذري، هو استبدال سلطة الكنيسة ذات الطبيعة الدينية بالسلطة السياسية ممثلــة هنا في الملك شخصياً. فقد كانت الأعمال المقترحة للترجمة في عهد ألفونســ العاشــر وبإيعاز منه تخضــع في مرحلة أولى للتقييــم والتحري في جودتها، ثم تُعرض في مرحلة لاحقة على المترجمين الذين توكل إليهم مهمة نقلهــا مع مراعاة تكييفها ليس فقط مــع رغبات وذوق الملك، ولكن أيضاً مع

(1) Foz. op. cit. pp 144 – 136.

واقع المرحلة.

- كـون القائمين «الرسميين» على المعرفة في هـذه الحقبة، والترجمة كانت تعتبـر رافدها الأساسـي، كان يتوزعهم موقفان: الرغبـة في الاستفادة من هـذه المعارف العلمية والفلسفية الجديـدة واتخاذها سبيلاً لتطوير فكرهم الخاص، وشعـور التهديد الـذي يمكن أن تمثلـه تلك المعرفة علـى الثقافة «الرسمية» القائمة، أي الثقافة اللاتينية بمبادئها وقيمها الثابتة.

وأمـا الموقف الأول فقد نجمت عنه تلك الحيرة العارمة التي اعترت مثقفي المرحلـة إزاء كيفيـة التعامـل مع هذا الانقـلاب المعرفي الهائـل (خاصة في مجالات الفلك والطب والفلسفة..) الذي أصاب العالم اللاتيني بتدفّق تلك الكميـة الهائلة من المعرفـة المطبوعة بنوع مـن الازدواج الثقافي لأن العرب كانـوا قـد قاموا باقتباس ومراجعة وتصحيـح المعرفـة الإغريقية القديمة مستعينين هم أنفسهم أحياناً بصيغ وسيطة سريانية وغيرها.

بينما اتخـذ الموقف الثاني مظهر العلاقة الصراعيـة المعلنة بين المترجمين (أي مثقفـو القرن 12) والمترجَمـين (أي المؤلفون والمعلّقـون العرب)، فقد كان هدف الأوائل في البدايـة هو استعادة الموروث الثقافي الإغريقي القديم وصياغتـه في اللغة اللاتينية لجعله في خدمة الكنيسة، ثم سيتحول مع مرور الوقـت إلى مجابهة مفتوحة مع ناقلي هذا المـوروث من العرب المسلمين، بل أكثر مـن ذلك حرباً معلنة على الدين الإسلامي. وهذا على الأقل ما نفهمه من إعلانهم الصريح بأن غاية مشروع بيير المبجل من ترجمة القرآن كانت هي «إدانة هرطقة الشريعة الإسلامية ومحاربتها».

وقـد ترتب عن هذا الموقف المزدوج (الرغبـة والخوف) اتجاهٌ نحو الترجمة باعتبارهـا تملّكاً واستحواذاً، بمـا يعني ذلك من إطلاق لليـد الثانية تعيث

في المؤلفـات العربية زيادة ونقصاناً وتحريفـاً وإضفاء المشروعية السياسية والدينيـة علـى ذلك الصنيـع الآثـم.. ألم يعلن المترجم هيرمـان الدلماطي صراحـة رغبته في تحويل «الكتابات العربية» إلـى «كتابات لاتينية»، وأعطى زميله روبير الششتري لنفسه الحق باسم الأوفاق المتبعة في الثقافة اللاتينية في حذف وبتر ما كان يظنّه في النص العربي استطالة وإطناباً..؟

المترجمون اللاتينيون والألفونسـيون: المختلف والمؤتلف

لقد بدا هذا الأفق السياسي والثقافي الذي جرت فيه أعمال الترجمة خلال هـذه الحقبة التي غطت القرنـين الثاني عشر والثالث عشـر بمثابة المدخل الوحيد الممكـن والمتاح للغربيين إلى الكتابة العلميـة والفلسفية الموروثة عن العـرب. ويمكـن القول بأن هـذه الإستراتيجية القائمة علـى مبدأ الترجمة كوسيلـة لتملك المعرفة كانت تمثل الشرط اللازم sine qua non لترجمات اللاتينيـين (ق12). فهي وحدها التي كانت تـبرّر قراءة ودراسة ثم ترجمة أعمـال المؤلفـين والمعلّقين من خـارج التقليـد اللاتيني (أي العـرب هنا). وبالنسبـة لأعمـال المترجمين الألفونسيين (ق13) فهـي لا تختلف من حيث هدفهـا الذي يرمي إلى إعادة تملّك المؤلفات العربية، إلا أن ذلك أصبح يتمّ باسم الملك، وليس كما في السابق باسم الكنيسة[1].

إن طابـع المصـادرة الذي ميّز عمل الترجمة في هـذا العصر مرتبط بداهة بالبنيات المؤسسية التي تعبُر من خلالها هذه المعرفة: أي الكنيسة في القرن الثاني عشر والبلاط في القرن الثالث عشر. هذا مع العلم أن الترجمة كانت

(1) Ibid. p. 146 .

في جميع الحالات هي الوسيلة الوحيدة التي ستمكّن اللاتينيين من توسيع وتجديد معارفهم.

ودليلنا على هذا الإثبات الأخير أن «مسارات» أهم مترجمي القرن 12 تؤكد وتشهد على الوزن الذي كانوا يعطونه لترجمة كتب العرب إلى اللاتينية من أجل الاغتناء فلسفياً وعلمياً. فقد قرّر طالب الطب مارك الطليطلي، في أعقاب ملاحظته أن كل مقررات العلم الطبي هي كتب عربية ترجمت إلى اللاتينية، أن يذهب بنفسه إلى النبع أي أن يشرع في البحث عن المخطوطات الطبية العربية التي تستعرض وتفحص مؤلفات قدماء اليونان، وذلك بهدف الوصول إلى المعرفة التي ستمكّنه من استكمال تعليمه الطبي.

وبهذه الطريقة، أي بالعودة إلى الأصول، سيصبح مارك الطليطلي مترجماً. وقد ساعده في ذلك عاملان: كونه كان يتقن ثلاث لغات هي اللاتينية والعربية والقشتالية (وهو الأمر الذي لم يكن استثنائياً في عصره)، ثم واقع انتمائه إلى الكنيسة الطليطلية الذي جعله يستفيد من حماية وتشجيع أساقفتها المتعاقبين. حتى أنه واعترافاً بفضل الكنيسة عليه سيقوم بترجمة بعض النصوص الدينية الإسلامية خاصة منها القرآن لوضعها رهن إشارة أولياء النعمة.

ولا يختلف مسار جيرار الكريموني إلا قليلاً عن مسار زميله، فبعد أن حلّ بطليطلة بحثاً عن كتاب «المجسطي» لبطليموس الذي كان يرغب في ترجمته إلى اللاتينية، سيصطدم بمحدودية معارفه في اللغة العربية ويكتشف بالتالي حاجته إلى الاستعانة بآخرين. غير أن كل ذلك لم يجعله يعدّل من هدفه الأساسي الذي هو اكتساب المعارف في ميدان الرياضيات والفلك.. ويمكن أن نذكر مترجمين آخرين عاشوا نفس التجربة وإن كانوا أقلّ شهرة

من السّابقيّن.

إن المقصود بهذه الملاحظات هو أن جميع الذين أسهموا في أعمال الترجمة مـن المثقفين اللاتينيين اتخذوا منها سبيلاً لاختراق عالم جديد من المعرفة لم يكن متاحاً لهم من قبل لولا أن مكّنتهم منه المؤلفات العربية[1].

وهكـذا، فإن الوعي بفقر اللغـة والثقافة اللاتينيتين كان هو العامل الحاسم الـذي سيحمل المترجمين على الاهتمـام بالكتابات العائدة إلـى الكفّار les infidèles، أي إلـى العـرب المسلمين. وهذا الفقر المزمـن لم يكن موضوعاً للتسـتّر مـن قِبل المترجمـين اللاتينيين، بل طالمـا صدعوا بـه وأعلنوه على رؤوسـ الأشهاد. فهذا جيرار الكريموني ينـدّد بضعف اللاتينيين الفادح في جميـع مجـالات المعرفة، ومثله أعلـن المترجم دانيال المـورلي في رسالة إلى الأسقف نورويش عـن تضايقه من «جهل أساتذة باريس بل أساتذة أنجلترا أنفسهـم..» كمـا سبق للمترجـم رايمون المرسيلـي أن شبّه أتبـاع الكنيسة بـ«القطيع» مقارنة مع زملائهم المهتمين بالعلم العربي[2].

وكانـت الإستراتيجيـة المتبعـة في القـرن الثـاني عشر من قِبـل المترجمين اللاتينيين في نقل المـيراث العلمي العربي هي نفسها التي سار عليها العرب عنـد نقلهـم للفكر العلمي اليونـاني، حيث يقوم التعليـق والشرح إلى جانب الترجمـة الأصلية وأحياناً يختلط بها على طريقة تعامل ابن رشد مع أعمال أرسطو التي يشير إليها رينان..

ومـن الأشياء الملفتـة التي كان العمـل جارياً بها كذلك لـدى مترجمي هذا القرن في تعاملهم مع المؤلفات العربية ما يمكن تسميته بإستراتيجية الإلغاء

(1) Ibid. p. 147.
(2) Ibid. p. 148.

وحجـب كل ما له صلـة بالتاريـخ أو التقاليد الشرقية، من جهـة بدعوى أن الإشـارة إليها تكون عارية من الأهميـة بالنسبة للقارئ اللاتيني، ومن جهة ُخرى بحجّة تجنّب إعـادة إنتاج ما كانوا يسمّونه بالإطناب العربي la prolixité أي «التفصيل الذي لا طائل من ورائه» واستبداله بالإيجاز la concision. وقـد بلغ ذلك بهم حدّا كاريكاتورياً عندما اختصر هيرمان الدلماطي ترجمة أحد الكتب العربية إلى حوالي الثلث من حجمه الحقيقي[1].

وإذا أضفنـا إلـى ذلـك المصاعـب الناجمة عـن معرفتهم جـدّ المتواضعة بالثقافـة والتقاليد العربية، ورغبتهـم المعلنة بوضوح في أن «يُلتّنوا» نصوص المـيراث العربـي، أي أن يمحوا كل ما يدلّ على أنه نصـ أجنبي عن التقليد اليونـاني، أمكننـا آنذاك أن نقـدّر الفرق المفترض بين الأصـل الأجنبي أي العربـي والترجمة اللاتينيـة، وأن نقف بالتالي على حجـم التعديلات ذات الأسباب الجمالية والإيديولوجية أي الدينية التي تصيب الأصل.

ولكنـه إذا كان الجيـل الأول من المترجمين قد أخـذ العلم والمعرفة العربيين دون تسـاؤل، فإنـه مـع نضوج شـروط الاستقبـال والتقبّل لـدى المترجمين الألفونسيين بدأنا نشهد نشوء نوع من الجدلية بين الترجمة والبحث والنقد. كمـا ابتعـدت الترجمة عن دوائـر الارتجـال وعشوائية الاختيـار وأصبحنا نلاحـظ أن جماعة الملـك ألفونس كانت تعمد قبل الإقدام على الترجمة إلى تقييـم المؤلفـات المرشحة للترجمة مـن طرف عارفـين بموضوعاتها، وبعد ذلك كان يتمّ إسناد ترجمتها الحرفية لمترجم أو أكثر قبل إخضاعها لإعادة الصياغة والمراجعة والتصحيح انسجاماً مع رغبات الملك. وفي جميع الأطوار كان يتـم الإعلان عن أسماء جميع المشاركين في عمليـة الترجمة أولاً بأول،

(1) Ibid. pp. 153 – 154.

علـى عكس مـا كان عليه الأمر في العهد السابق حيـث كانت تحتجب أسماء المشاركين ولا يُعلن سوى عن اسم المترجم الرئيسي أو الآمر بالترجمة الذي غالباً ما كان رجل دين.

وعندمـا قرر الملك ألفونسـ العاشر إيقاف العمل بالترجمـة إلى اللاتينية، لغـة الكنيسة المسيحيـة، واستبدالها باللغة الروميـة القشتالية، لغة الشعب الإسبـاني، فإنه بذلك كان يدشّن لحظـة القطيعة مع المؤسسة الدينية. تلك القطيعـة التـي سيزيـد في تعميقها اتخـاذه معاونيه في مهـام الترجمة من اليهـود الذين استضافهـم في بلاطه كاعتراف منه بمهارتهـم وألمعيّتهم في الميدان، وهذا ما أجّج حفيظة رجال الكنيسة عليه وانتهى بتأليبهم ضدّه.

وسـوف يؤدي هذا الموقف الديني والسياسـي إلى تغيير الوضع نسبياً بفضل تحـرر رجال الدولـة من سلطة الكنيسـة وتحوّل هاجسـ الترجمة مع الملك ألفونسـ العاشر من «غزو ثقافي يقوم بـه الأتباع لتراث الكفار» إلى مؤسسة تسعى إلى جعل اللغة القشتالية قادرة على التعبير عن المعارف الجديدة، مع المحافظة على المسافة مع السلطات الدينية والإعلاء من سلطة الملك.

وبوسعنـا أخـيراً أن نستعيـد خلاصتـين أساسيتين بصدد تطـور ممارسة الترجمة ضمـن مدرسة طليطلة التي تناوب علـى تنشيطها فريقا الترجمة المعروفان باللاتينيين والألفونسيين:

– ترسّـخ الوعي بصعوبة بـل استحالة نقل المعارف الموروثـة عن العرب إلى لغـة شديدة الارتبـاط بالبنيات الدينيـة والإيديولوجية هـي اللغة اللاتينية تحديداً، ولذلـك جرى استبدالها باللغـة الشعبية الإسبانيـة كلغة استقبال لهذه الأعمال.

- تحــول هاجســ الترجمــة الــذي كان عند الأوائــل، ومعظمهــم من رجال الكنيســة، هــو الاستحواذ علــى المعرفة الأجنبيــة وصبّها في قالــب لاتيني، ليصبح مــع الأواخر هو جمع وتنظيم عناصر بنائيــة لتشييد ثقافة إسبانية على نموذج العصر الوسيط.

وهاتــان النتيجتان ليستا من دون خطورة على مــا سيصيب المشهد الفكري والثقــافي لمجمــوع أوروبا من تحولات في هذه اللحظــة الحرجة من تاريخها، والتــي ليس أقلهــا تحقيق التحــرر التدريجي مــن سلطة الكنيســة وثوابتها الإيديولوجيــة واللغويــة، والسعي الحثيــث إلى تكريس مجتمــع مدني ينمي شعــور الاستقلال والمواطنة ويقطع مع أشــكال الحجر والاستبداد مهما كان مصدرها.

المراجع

1 - المراجع العربية والمترجمة

أمين. أحمد : ضحى الإسلام. دار المعارف. القاهرة. 1956.

أمين. أحمد : ظهر الإسلام. دار المعارف. القاهرة. 1958. ج2.

ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق نزار رضا. دار مكتبة الحياة. بيروت. 1965.

الأندلسي. صاعد : طبقات الأمم. تحقيق لويس شيخو.بيروت.1967.

البستاني. سليمان: الإلياذة. دار الهلال. القاهرة. 1904.

البلاذري. أحمد بن يحيى: فتوح البلدان. ليدن 1866.

التوحيدي. أبو حيان: المقابسات. تحقيق محمد توفيق حسين. دار الآداب. بيروت1989.

الجاحظ. أبو عثمان: الحيوان. ج1. تحقيق عبد السلام هارون. دار الكتاب العربي. بيروت1969.

ابن جلجل. أبو داوود: طبقات الأطباء والحكماء. تحقيق فؤاد سيد. القاهرة. 1955 .

الجميلي. رشيد: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة. دار الحرية. بغداد 1986.

حسن. محمد عبد الغني: فن الترجمة في الأدب العربي. القاهرة 1966.

الخزاعي. التلمساني: تخريج الدلالات السمعية. القاهرة1981.

ابن خلدون: المقدمة. دار الكتب. بيروت1967.

ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بيروت1968.

الخوري. شحادة: فن الترجمة. الدار العربية للنشر. تونس1980.

زيدان. جرجي: تاريخ التمدن الإسلامي. القاهرة 1958.

القفطي. جمال الدين: إخبار العلماء بأخبار الحكماء. القاهرة 1326.

مونان. جورج: المسائل النظرية للترجمة. ترجمة لطيف الزيتوني. دار المنتخب العربي. بيروت 1994.

ابن النديم: الفهرست. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت. د. ت.

هونكه. زيغريد: شمس العرب تسطع على الغرب. ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي. بيروت 1969.

2 - المراجع الأجنبية

Alverny، Marie Thérèse d›: Translations and Translators.in Renaissance and Renewal in the Twelfth Century.Oxford، Clarendon .Press.1982

Ballard.Michel : De cicéron à benjamin.étude de la traduction.Presses .universitaires de Lille.1992

Berman.Antoine:L›épreuve de l›étranger.Culture et traduction dans l'Allemagne romantique، Paris.Gallimard.1984

Foz. Clara : Le traducteur، l›église، et le roi. Les presses de l›université .d›Ottawa .1998

Horguerlin.Paul : Anthologie de la manière de traduire. Montréal، .Linguatch.1981

..Ladmiral.Jean René :Théorèmes pour la traduction.Paris.Payot.1979

.Le Goff.Jacques:Les intellectuels au moyen Age.Paris، Seuil، 1985

Salama-Carr Myram : La traduction à la fin de l'école .abbasside،Paris،،Didier Erudition،1990

Tomiche.Nada : la littérature arabe traduite:Mythes et réalités.édition .Geuthner. Paris.1978

.Vernet.Juan: Ce que la culture doit aux arabes.Paris.Sindbad 1985

سيرة ذاتية

د. حسن بحراوي

- باحث مغربي.
- حاصل على دكتوراه الدولة في الترجمة والأدب المقارن.
- صاحب مؤلفات عديدة في الأدب الحديث والمقارن.
- يعمل أستاذاً بجامعة محمد الخامس بالرباط.

قائمة كتاب المجلة العربية

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
1	الإسلام والغرب حوار.. لا صراع	د. سعيد عطية أبوعالي	محرم 1418هـ/ مايو 1997م	240
2	إساءة معاملة الأطفال تلمس الأسباب والظروف	د. عبدالعزيز بن عبدالله الدخيل	صفر 1418هـ/يونية1997م	241
3	أضرار الجوال بين الحقيقة والخيال	م. عبدالله بن حمد الكثيري	ربيع الأول 1418هـ/يوليو1997م	242
4	الأسلحة الكيميائية والجرثومية خطر في وجه الحضارة	د. عبدالعزيز بن علي الخضيري	ربيع الآخر 1418هـ/أغسطس1997م	243
5	من يشتري الضحك والفرح ؟!	عبد الله الجفري	جمادى الأولى 1418هـ/سبتمبر1997م	244
6	الملك عبدالعزيز ومراسلاته	د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	جمادى الآخرة 1418هـ/اكتوبر1997م	245
7	دمج المعاقين مع الأطفال الأسوياء	د. فوزية أخضر	رجب 1418هـ / نوفمبر 1997م	246
8	المؤتمر العام السادس والمجلس التنفيذي الثامن عشر للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة	عبد الرحمن محمد	شعبان 1418هـ/ديسمبر1997م	247
9	أيام العار	جون سوين/ ترجمها منصور الخريجي	رمضان 1418هـ/يناير 1998م	248
10	الإنترنت تقنيات وخدمات	د. عبدالقادر بن عبدالله الفنتوخ	شوال1418هـ/فبراير1998م	249
11	الأكل الوسطي وحكاية هرمين	د. عدنان سالم باجابر	ذوالقعدة 1418هـ/ مارس1998م	250
12	الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله	د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي	ذو الحجة1418هـ/ ابريل1998م	251
13	الماء ثروة الحاضر.. وأمل المستقبل	د. أحمد عبدالقادر المهندس	محرم 1419هـ/يونيو1998م	252
14	المتقاعدون ووقت الفراغ	عبد العزيز بن علي الغريب	صفر1419هـ/يونيو1998م	253
15	فاعلية الأغذية الوارد ذكرها في القران الكريم	د. رافده الحريري	ربيع الأول 1419هـ/يوليو1998م	254
16	القاعدة والاستثناء في الإعلام والسياسة	د.فؤاد بن عبدالسلام الفارسي	ربيع الآخر 1419هـ/أغسطس1998م	255
17	الكتابة للأطفال لماذا ... ماذا نكتب وكيف ؟	محمد سعيد المولوي	جمادى الأولى 1419هـ/ سبتمبر 1998م	256
18	مسؤولية الإعلام في تأكيد الهوية الثقافية	د. ساعد العرابي الحارثي	جمادى الآخرة 1419هـ/اكتوبر1998م	257
19	الأيام الثقافية للجامعات السعودية في رحاب الجامعات المغربية	المجلة العربية	رجب 1419هـ/نوفمبر1998م	258
20	الفياجرا شاغلة العالم !	جلال محمد حمام	شعبان1419هـ/ديسمبر1998م	259

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
21	العمل الاجتماعي التطوعي في المملكة العربية السعودية	عبد الله العلي النعيم	رمضان1419هـ/يناير 1999م	260
22	قراءة في فكر الملك عبدالعزيز	بدر بن أحمد كريم	شوال 1419هـ/فبراير1999م	261
23	الجودة ومواصفة آيزو 9000	د. إبراهيم بن علي الخضير	ذو القعدة1419هـ/ مارس1999م	262
24	أرقامنا العربية الأصيلة	د. إبراهيم احمد مسلم الحارثي	ذوالحجة 1419هـ/ابريل1999م	263
25	القلق (مرض العصر) كيف يعالجه القران ؟	د. زهير أحمد السباعي	محرم 1420هـ/مايو1999م	264
26	تعليم الفتاة بين التفرد والمحاكاة	د. علي بن مرشد بن محمد المرشد	صفر1420هـ/يونيو1999م	265
27	الشيخ ابن باز (يبكيك محراب يئن ومنبر)	المجلة العربية	ربيع الأول1420هـ/يوليو1999م	266
28	الإمارة وتنمية السياحة	الأمير خالد الفيصل	ربيع الآخر 1420هـ/ أغسطس999م	267
29	في تأهيل الأدب الإسلامي نحو رواية إسلامية	د. حلمي محمد القاموذ	جمادى الأولى1420هـ/سبتمبر1999م	268
30	الأدب المقارن في ضوء الرؤية العربية والإسلامية	محمود رداوي	جمادى الآخرة1420هـ/اكتوبر1999م	269
31	منظمة التجارة العالمية واستحقاقات العضوية	أ . أسامة بن جعفر فقيه	رجب 1420هـ/نوفمبر 1999م	270
32	مجلس التعاون الخليجي رؤية متابع	أحمد محمد سالم	شعبان1420هـ/ديسمبر1999م	271
33	الإسلام والغرب والدور السعودي في إقامة حوار بناء بينهما	د. عبدالعزيز بن إبراهيم السويل	رمضان1420هـ/يناير2000م	272
34	الترويح دوافعه- آثاره – ضوابطه	عبد الله بن ناصر السدحان	شوال1420هـ/فبراير 2000م	273
35	أمراض القلب والوقاية منها	أ.د. منصور محمد النزهة	ذوالقعدة1420هـ/فبراير2000م	274
36	العالم الإسلامي	محمد بن ناصر العبودي	ذو الحجة1420هـ/ابريل2000م	275
37	ضياع الهوية في الفضائيات العربية	د. عائض الردادي	محرم1421هـ/مايو2000م	276
38	البلاستيك وصحة الإنسان	د. محيي الدين عمر لبنية	صفر1421هـ/مايو2000م	277
39	منهج التربية الإسلامية في ملء أوقات الفراغ	د. عثمان سيد أحمد خليل	ربيع الأول1421هـ/يونيو2000م	278
40	المرأة كيف عاملها الإسلام	الشيخ/حسن بن عبدالله آل الشيخ	ربيع الآخر1421هـ/يوليو2000م	279
41	الفكاهة في أدب الشيخ علي الطنطاوي	أحمد علي آل مريع	جمادى الأولى1421هـ/أغسطس2000م	280

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
42	مشكلة المياه وآفاق مستقبلها في المملكة العربية السعودية	أ.د. خالد بن عبدالرحمن الحمودي	جمادى الآخرة1421هـ/سبتمبر2000م	281
43	حقوق الإنسان في الإسلام	الشيخ/صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ	رجب1421هـ/اكتوبر2000م	282
44	الجاسر علاّمة وعلامة	د. عبدالله مناع	شعبان1421هـ/نوفمبر2000م	283
45	المردود الإيجابي للتفاعل التعليمي بين المعلم وطلابه	عبدالله بن مراد العطرجي	رمضان1421هـ/ديسمبر2000م	284
46	تجربة اليونسكو: دروس الفشل	د. غازي القصيبي	شوال1421هـ/يناير2001م	285
47	الفصيح مما أضاعه المشارقة وحفظه المغاربة	حماد بن حامد السالمي	ذوالقعدة1421هـ/فبراير2001م	286
48	صفحات من حياة الفقيد العلم الزاهد الشيخ محمد بن عثيمين	أ.د.عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار	ذوالحجة1421هـ/مارس2001م	287
49	الصناعة السعودية عام 1430هـ(2010م) رؤية مستقبلية	م. عبدالله بن يحيى المعلمي	محرم1422هـ/أبريل2001م	288
50	مشكلة العنوسة الأسباب والعلاج	رفعت محمد طاحون	صفر1422هـ/مايو2001م	289
51	الطب الشعبي حقائق وخرافات	د. حسام الدين أبو السعود	ربيع الأول1422هـ/يونيو2001م	290
52	العربية لغة الوحي .. والوحدة	محمد عبدالشافي القوصي	ربيع الآخر1422هـ/يوليو2001م	291
53	حقيقة النوم وقفات وتأملات	يوسف محمد أبو عود	جمادى الأولى1422هـ/أغسطس2001م	292
54	دور المدرسة في تربية النشء وبناء المجتمع	د. علي بن مرشد المرشد	جمادى الآخرة1422هـ/سبتمبر2001م	293
55	مشكلات طفلك الصحية في عامه الأول وحلولها	د. محمد مصطفى السمري	رجب1422هـ/أكتوبر2001م	294
56	مفهوم العمل في الإسلام	حسين بن عبدالله بانبيله	شعبان1422هـ/نوفمبر2001م	295
57	الإسلام وأزمة الإنسان المعاصر	د. محمد عبدالمنعم خفاجي	رمضان1422هـ/ديسمبر2001م	296
58	النظم العدلية الثلاثة (وزارة العدل)	أخرجه : عبدالقادر باقي زاده	شوال1422هـ/يناير2002م	297
59	الأديب عبدالكريم الجهيمان عطاء لا ينضب	محمد بن عبدالرزاق القشعمي	ذوالقعدة1422هـ/فبراير2002م	298
60	الشخصية الإسلامية سمات وتحديات	طه محمد كسبه	ذوالحجة1422هـ/مارس2002م	299
61	الشعر والأخلاق في تراث العرب النقدي	د. جعفر حسن الشكرجي	محرم1423هـ/أبريل2002م	300
62	الشورى في النظام الإسلامي ومقارنتها بالنظم الأخرى	الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير	صفر1423هـ/يونيو2002م	301

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
63	من أجل تصحيح صورة الإسلام في الغرب	د. حسن عزوزي	ربيع الأول1423هـ/يونيو2002م	302
64	مقاييس الجمال في تجربة العميان الشعرية	د. عبدالله بن أحمد الفيفي	ربيع الآخر1423هـ/يوليو2002م	303
65	تعليم اللغة الانجليزية في المملكة العربية السعودية	جاسم بن أحمد الجاسم	جمادى الأولى1423هـ/أغسطس2002م	304
66	اصطخاب المفردات كلام يدخل في التخاطب لا الخطب !!	أحمد بن عبدالرحمن العرفج	جمادى الآخرة1423هـ/سبتمبر2002م	305
67	الطب النبوي بين الإبداع الصحي والطب الوقائي	حسين محي الدين سباهي	رجب 1423هـ/أكتوبر2002م	306
68	العلاقة بين الرضا الوظيفي والأداء المهني للصحفيين	د. عبدالعزيز بن علي المقوشي	شعبان 1423هـ/نوفمبر2002م	307
69	من وسائل وأساليب التربية النبوية	د. صالح بن علي أبوعراد	رمضان1423هـ/نوفمبر2002م	308
70	من حلل الشعراء وحيلهم الفنية	حجاب بن يحيى الحازمي	شوال1423هـ/يناير2003م	309
71	الحب بين الأدب والطب	د. غالب خلايلي	ذوالقعدة1423هـ/فبراير2003م	310
72	شبهات وأباطيل حول الطلاق والرد عليها	رفعت محمد مرسي طاحون	ذوالحجة1423هـ/فبراير2003م	311
73	وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية	أ.د.علي بن إبراهيم الحمد النملة	محرم1424هـ/مارس2003م	312
74	الأدب العربي في المملكة في عهد خادم الحرمين الشريفين	د. حسن بن فهد الهويمل	صفر1424هـ/ابريل2003م	313
75	الغذاء ودوره في تنمية الذكاء	د. نبيل سليم علي	ربيع الأول1424هـ/مايو2003م	314
76	الأديب محمد بن أحمد العقيلي لمحات من سيرته	مجاهد باعشن	ربيع الآخر1424هـ/يونيو2003م	315
77	جذور الحملة الإعلامية على الإسلام والسعودية وصراع الهويات	د. فهد العرابي الحارثي	جمادى الأولى1424هـ/يوليو2003م	316
78	أفكار في شعر الإمام الشافعي	عبدالله الجعيثن	جمادى الآخرة1424هـ/ أغسطس2003م	317
79	أهم أحداث المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها عام 1319هـ حتى 1424هـ	مساعد بن عبدالله الجنوبي	رجب1424هـ/سبتمبر2003م	318
80	أبو تراب الظاهري العالم الموسوعة أو سيبويه العصر	علوي طه الصافي	شعبان1424هـ/أكتوبر203م	319
81	وقفات مع الأستاذ عبدالله القرعاوي في ذكرياته	عبدالعزيز بن عبدالله السالم	رمضان1424هـ/نوفمبر2003م	320
82	المنهج العلمي في القران الكريم	محمد فيض الله الغامدي	شوال1424هـ/ديسمبر2003م	321
83	هل ينقرض الدبلوماسيون في حقبة العولمة؟	د. غازي بن عبدالرحمن القصيبي	ذوالقعدة1424هـ/يناير2004م	322

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
84	الحوار بين الثقافات والحضارات ضرورة	إبراهيم نويري	ذوالحجة1424هـ/يناير2004م	323
85	المرأة في الفتوحات الإسلامية	عبدالله بن ناصر الحديب	محرم1425هـ/فبراير2004م	324
86	الأستاذ شيخ النقاد عبدالله عبدالجبار وماذا بعد عنه ؟!	عبدالله بن عبدالرحمن الجفري	صفر1425هـ/أبريل2004م	325
87	حسن صيرفي قراءة في جغرافية إنسان	محمد الدبيسي	ربيع الأول1425هـ/مايو2004م	326
88	العبقرية وأسسها الأربعة	فهد بن عامر الأحمدي	ربيع الآخر1425هـ/يونيو2004م	327
89	الإدارة الإلكترونية وتطبقاتها أنموذج إداري جديد	د. محمد حسن مفتي	جمادى الأولى1425هـ/يوليو2004م	328
90	مواجهة الفقر المشكلة وجوانب المعالجة	أ.د. علي بن إبراهيم النملة	جمادى الآخرة1425هـ/ أغسطس2004م	329
91	مكامن الخلل في العملية التربوية	عبيد بن عبدالله السويهري	رجب1425هـ/سبتمبر2004م	330
92	التجربة المعاصرة للتنظيم الإداري بالمملكة العربية السعودية	حسن بن محمد الشيخ	شعبان1425هـ/أكتوبر2004م	331
93	الوسائل المفيدة للحياة السعيدة	الشيخ عبدالرحمن ناصر السعدي	رمضان1425هـ/نوفمبر2004م	332
94	الإعجاز الطبي في القران والسنة والجديد في علم الطب	د. حسان شمسي باشا	شوال1425هـ/ديسمبر2004م	333
95	أهمية حماية الهواء وطبقة الأوزون من أخطار التلوث	د. محمود درويش	ذوالقعدة1425هـ/يناير2005م	334
96	العمل برؤية إيمانية	علي مدني الخطيب	ذوالحجة1425هـ/فبراير2005م	335
97	منهج الجدل وآداب الحوار في الفكر الإسلامي	أ.د.بركات محمد مراد	محرم1426هـ/فبراير2005م	336
98	الأسبرين حكاية بلا نهاية	د. محيى الدين عمر لبنيه	صفر1426هـ/مارس2005م	337
99	أحمد السباعي رائد الأدب والصحافة المكية	محمد عبدالرزاق القشعمي	ربيع الأول1426هـ/أبريل2005م	338
100	إطلالة على المشهد الثقافي في المملكة العربية السعودية	حسين محمد بافقيه	ربيع آخر1426هـ/مايو2005م	339
101	ذاكرة العراق التاريخية والحضارية	علوي طه الصافي	جمادى الأولى1426هـ/يونيو2005م	340
102	أم القرى خصوصية المكان والعمران	د.م. يحيى حسن وزيري	جمادى الآخرة1426هـ/يوليو2005م	341
103	الحفاظ على البيئة من منظور إسلامي	عبدالعزيز بن سعد الدغيثر	رجب1426هـ/أغسطس2005م	342
104	الدور الأمني للمؤسسات التربوية والثقافية	أ. حجاب بن يحيى الحازمي	شعبان1426هـ/سبتمبر2005م	343

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
105	الضمانات الشرعية لحماية الأسرة في الإسلام	علي مدني رضوان الخطيب	رمضان1426هـ/أكتوبر2005م	344
106	الأدب الوجداني إبداع وفرسان	فوزي خياط	شوال1426هـ/نوفمبر2005م	345
107	الإدارة السوية وحمايتها من الضغوط الحياتية	أ.د. نبيل سليم علي	ذوالقعدة1426هـ/ديسمبر2005م	346
108	الحج :أحكام وأسرار قراءة تأملية في شعائر الحج ومناسكه	سالم بن عبدالله الشهري	ذوالحجة1426هـ/يناير2006م	347
109	جمع الجواهر في الملح والنوادر	د.عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	محرم1427هـ/فبراير2006م	348
110	مكة المكرمة أهمية الدور والمكان	د.عمر بن يحيى محمد	صفر1427هـ/مارس2006م	349
111	الإبداع والتحديث في فكر سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد 1329/1402هـ	د. صالح بن عبدالله بن حميد	ربيع الأول1427هـ/أبريل2006م	350
112	الزمان يزور المكان	د.غازي بن عبدالرحمن القصيبي	ربيع الآخر1427هـ/مايو2006م	351
113	رثاء الزوجة في الشعر العربي الحديث	حسني سيد لبيب	جمادى الأولى1427هـ/يونيو2006م	352
114	مشاعر أب في رسائل حرّى	د، إبراهيم بن مبارك الجوير	جمادى الآخرة1427هـ/يوليو2006م	353
115	رؤية في الفساد والجريمة	سليمان بن محمد الجريش	رجب1427هـ/أغسطس2006م	354
116	الحكومة الإلكترونية دراسة للتجربة التقنية المعلوماتية في المملكة العربية السعودية	حسن بن محمد الشيخ	شعبان1427هـ/سبتمبر2006م	355
117	آفاق المناجاة في شعر الدكتور سعد بن عطيه الغامدي	علي بن محمد العمير	رمضان1427هـ/أكتوبر2006م	356
118	الفقه الإسلامي أهميته والعناية بمصادره وأهله	د،عبدالله بن عبدالمحسن التركي	شوال1427هـ/نوفمبر2006م	357
119	المستشرقون بين الوفاء والافتراء	رفعت محمد طاحون	ذوالقعدة1427هـ/ديسمبر2006م	358
120	نحو خطاب لساني نقدي عربي أصيل	فاتح زيوان	ذوالحجة1427هـ/يناير2007م	359
121	المواقع الأثرية والتراث الثقافي بالمملكة العربية السعودية	ناصر بن محمد الحميدي	محرم1428هـ/فبراير2007م	360
122	الطائفية والتفكيك بعد سقوط بغداد	د . عايض الردادي	صفر1428هـ/مارس2007م	361
123	شنين الدموع	د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	ربيع الأول1428هـ/أبريل2007م	362
124	وميض من قبس الإسلام	د. رافدة بنت عمر الحريري	ربيع الآخر1428هـ/مايو2007م	363
125	الثوابت والمتغيرات في المجتمع السعودي	الأمير الدكتور فيصل بن مشعل بن سعود ابن عبدالعزيز آل سعود	جمادى الأولى1428هـ/يونيو2007م	364

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
126	هاملتون جيب وكتابة الاتجاهات الحديثة في الإسلام	زكي بن عبدالله الميلاد	جمادى الآخرة1428هـ/يوليو2007م	365
127	لمحات في التربية الإسلامية	بهاء الدين عبدالله الزهوري	رجب1428هـ/أغسطس2007م	366
128	موقع العقل في ظل التشريع	رغداء محمد زيدان	شعبان1428هـ/سبتمبر2007م	367
129	الإسلام بين العالمية والعولمة	د . خالد احمد حربي	رمضان1428هـ/أكتوبر2007م	368
130	مقدمة في الشعر الياباني	علاء الدين رمضان	شوال1428هـ/نوفمبر2007م	369
131	الترجمة رؤية في الواقع العربي	د. محمد بن عبدالله العبد اللطيف	ذوالقعدة1428هـ/ديسمبر2007م	370
132	من سجن الأسطورة إلى رحم التاريخ	د فاطمة الياس	ذوالحجة1428هـ/يناير2008م	371
133	مفهوم الشعر عند ابن سينا	علي العلوي	محرم1429هـ/يناير2008م	372
134	اغتراب الثقافة الكل عن المجتمع الكيان	د علي بن حمد الخشيبان	صفر1429هـ/فبراير2008م	373
135	الأغذية المعدلة وراثيا مالها وما عليها	د عبدالعزيز بن ابراهيم العثيمين	ربيع الأول1429هـ/مارس2008م	374
136	النحو في عصر العولمة	د. فالح بن شبيب العجمي	ربيع الآخر1429هـ/أبريل2008م	375
137	تقاليد الكرم عند العرب	محمد السموري	جمادى الأولى1429هـ/مايو2008م	376
138	الكنتية خطاب السيرة الذاتية	أحمد علي آل مريع	جمادى الآخرة1429هـ/يونيو2008م	377
139	من تراثنا الحديث في اللغة والفكر والحضارة	عبد الله العلايلي وآخرون	رجب1429هـ/يوليو 2008م	378
140	ثقافة التعليم الالكتروني	د.زكريا يحيى لال	شعبان1429هـ/أغسطس2008م	379
141	الصحافة المطبوعة في عصر الملتيميديا	د. عثمان بن محمود الصيني	رمضان1429هـ/سبتمبر2008م	380
142	التجربة الشعرية الجديدة في السعودية	د. عالي بن سرحان القرشي	شوال1429هـ/اكتوبر2008م	381
143	المصطلح الإيقاعي في التراث الأدبي / القافية نموذجا	فريد محمد أمعضشو	ذوالقعدة1429هـ/نوفمبر2008م	382
144	معركة الشعر المنثور في الصحافة السعودية قبل نصف قرن	محمد بن عبدالرزاق القشعمي	ذوالحجة1429هـ/ديسمبر2008م	383
145	رواد الغناء في الجزيرة العربية من الشفوية إلى التسجيل	أحمد الواصل	محرم 1430هـ/يناير 2009م	384
146	قراءة في الظواهر التمثيلية العربية	سامي عبداللطيف الجمعان	صفر 1430هـ/فبراير 2009م	385

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
147	الأدب في البرازيل رؤية ومختارات	د . رشا احمد إسماعيل	ربيع الأول1430هـ/مارس2009م	386
148	أدب المدونات	شاكر لعيبي	ربيع الآخر1430هـ/أبريل2009م	387
149	الثقافة الأفقية وموت النخبة	د فهد العرابي الحارثي	جمادى الأولى1430هـ/مايو2009م	388
150	رحلة الأدب العربي الحديث إلى الإنجليزية	د.موسى أحمد الحالول	جمادى الآخرة1430هـ/يونيو2009م	389
151	مترجمو ألف ليلة وليلة	سيلفانا الخوري	رجب1430هـ/يوليو 2009م	390
152	رحلة الكتاب في الحضارة الإسلامية	محمد رجب السامرائي	شعبان1430هـ/أغسطس2009م	391
153	النسبية وما بعدها (ألبرت آينشتاين ،ستيفن ،مايكل)	د.عبدالله نعمان الحاج	رمضان1430هـ/سبتمبر2009م	392
154	مذكرات أبي القاسم الشابي	د. نور الدين صمود	شوال1430هـ/اكتوبر2009م	393
155	العولمة والأدب العربي المعاصر	د.أسامة محمد البحيري	ذوالقعدة1430هـ/نوفمبر2009م	394
156	مالك بن نبي في ذاكرة عبدالسلام الهراس	د . محمد البنعيادي	ذوالحجة1430هـ/ديسمبر2009م	395
157	رحلة إلى الحجاز	إبراهيم عبدالقادر المازني	محرم 1431هـ/يناير 2010م	396
158	قصائد أعجبتنا من غازي القصيبي	غازي بن عبدالرحمن القصيبي	صفر 1431هـ/فبراير 2010م	397
159	البيروقراطية وإدارة المعرفة	د عبدالله مسفر الوقداني	ربيع الأول1431هـ/مارس2010م	398
160	النص السردي الأندلسي مداخل لقراءة جديدة	إبراهيم الحجري	ربيع الآخر1431هـ/أبريل2010م	399
161	أوراق منير العجلاني	منير العجلاني	جمادى الأولى1431هـ/مايو2010م	400
162	الألعاب قي النظرية الأدبية	فارغا سلطان ترجمة عثمان الجبالي	جمادى الآخرة1431هـ/يونيو2010م	401
163	عالم الكتابة القصصية للطفل	عبد الباقي يوسف	رجب1431هـ/يوليو 2010م	402
164	أثر المرجعية الفكرية في تحليل الخطاب اللغوي	فاتح زيوان	شعبان1431هـ/أغسطس2010م	403
165	بدر الكبرى المدينة والغزوة	د. محمد عبده يماني	رمضان1431هـ/سبتمبر2010م	404
166	في الفكر الخلدوني	يوسف الحناشي	شوال1431هـ/اكتوبر2010م	405
167	ميغيل آسين بلاثيوس رائد الاستعراب الاسباني المعاصر	محمد عبدالرحمن القاضي	ذوالقعدة1431هـ/نوفمبر2010م	406

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
168	الشعر في المدينة المنورة بين القرنين 12-14هـ	د . عاصم حمدان	ذوالحجة1431هـ/ديسمبر2010م	407
169	الرواية العربية والفنون السمعية البصرية	د . حسن لشكر	محرم 1432هـ/يناير 2011م	408
170	بدايات تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية	محمد عبدالرحمن القشعمي	صفر 1432هـ/فبراير 2011م	409
171	التحيز العربي للنقد الغربي	د.علي حمادي صديقي	ربيع الأول1432هـ/فبراير2011م	410
172	اليد واللسان	عبدالله محمد الغذامي	ربيع الآخر1432هـ/أبريل2011م	411
173	علم الحوار الاسلامي	د خالد أحمد حربي	جمادى الأولى1432هـ/مايو2011م	412
174	الموسوعات الفردية	د علي ابراهيم النملة	جمادى الآخرة1432هـ/يونيو2011م	413
175	تاريخ الهايكو الياباني	ريو يوتسويا ترجمة سعيد بوكرامي	رجب1432هـ/يونيو2011م	414
176	أدب الرحلات النبيلة	محمد منصور	شعبان1432هـ/يونيو2011م	415
177	الخطاب الافتتاحي في القران الكريم	د عبدالملك أشهبون	رمضان1432هـ/أغسطس2011م	416
178	السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم	أحمد علي آل مريع	شوال1432هـ/سبتمبر2011م	417
179	الجاحظ في مرآة أبي حيان	ابراهيم صبري راشد	ذوالقعدة1432هـ/أكتوبرر2011م	418
180	الإسلام وحقوق الانسان	زكي الميلاد	ذوالحجة1432هـ/نوفمبر2011م	419
181	التراث العلمي العربي وقاماته	صلاح الشهاوي	محرم 1433هـ/ديسمبر 2011م	420
182	حساسية الوائي وذائقة المتلقي	عبدالباقي يوسف	صفر1433هـ/يناير2012م	421
183	وفيات المثقفين 2011	المجلة العربية	ربيع الأول1433هـ/فبراير2012م	422
184	الإسهام الإسلامي في التجديد الفلسفي للقرن 12م	خواكين لومبا فوينتيس	ربيع الآخر1433هـ/مارس2012م	423
185	في ثياب الاعرابي الأصمعي إمام الأنثروبولوجيا العربية	فاضل الربيعي	جمادى الأولى1433هـ/ابريل2012م	424
186	شعر الجن في التراث العربي	د. عبدالله سليم الرشيد	جمادى الآخرة1433هـ/مايو2012م	425
187	رندة الإسلامية أمنع حصون الأندلس الجنوبية	محمد القاضي	رجب1433هـ/يونيو2012م	426
188	مديح الأسئلة الصعبة ألغاز العلم المحيرة	د. عبدالله الحاج	شعبان1433هـ/يوليو2012م	427

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
189	فرق العمل العلمية في الحضارة الاسلامية	د . خالد أحمد الحربي	رمضان1433هـ/أغسطس2012م	428
190	موجز تاريخ الأدب الأمريكي	كارثرين فان سباكرن	شوال1433هـ/سبتمبر2012م	429
191	المشكلات الفلسفية عند ابن حزم والبصري وابن رشد	د. بركات محمد مراد	ذوالقعدة1433هـ/أكتوبر2012م	430
192	السيرة لعبة الكتابة	خالد فؤاد طحطح	ذوالحجة1433هـ/أكتوبر 2012م	431
193	آراء إخوان الصفا وخلان الوفا إعجاب وعجب	د. رشيد الخيون	محرم 1434هـ/ديسمبر 2012م	432
194	كتابات السياب النثرية	د . حسن الغرفي	صفر1434هـ/يناير2013م	433
195	عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم	عباس محمود العقاد	ربيع الأول1434هـ/فبراير2013م	434
196	ابن رشد وشوق المعرفة	د . بنسالم حميش	ربيع الآخر1434هـ/مارس2013م	435
197	اللغة هوية ناطقة	د . عبدالله البريدي	جمادى الأولى1434هـ/ابريل2013م	436
198	شعر الموسوسين في العصر العباسي	د.عبدالمجيد الإسداوي	جمادى الآخرة1434هـ/مايو2013م	437
199	الشعر والنثر في التراث البلاغي والنقدي	عبداللطيف الوراري	رجب1434هـ/يونيو2013م	438
200	أثر الكوارث الطبيعية في المجال الاقتصادي بالمغرب	د. عبدالهادي البياض	شعبان1434هـ/يوليو2013م	439
201	الاستشراق بين منحنيين النقد الجذري أو الإدانة	د. علي إبراهيم النملة	رمضان1434هـ/أغسطس2013م	440
202	سجع المنثور لأبي منصور الثعالبي(350–429هـ)	د. أسامة محمد البحيري	شوال1434هـ/سبتمبر2013م	441
203	العشاق الثلاثة	د. زكي مبارك (1892-1952)	ذوالقعدة1434هـ/سبتمبر2013م	442
204	أسس العلوم الحديثة في الحضارة الإسلامية	د . خالد حربي	ذو الحجة1434هـ/أكتوبر2013م	443
205	الفلسفة في فكر ابن تيمية جدل النص والتاريخ	د. أحمد محمد سالم	محرم1435هـ/نوفمبر 2013م	444
206	السينما والجذور	ترجمة خالد أقنعي	صفر1435هـ/ديسمبر2013م	445
207	الموروث الشعبي في السرد العربي	محمد عزيز العرفج	ربيع الأول1435هـ/يناير2014م	446
208	الطب والأدب علائق التاريخ والفن	د. عبدالله سليم الرشيد	ربيع الآخر1435هـ/فبراير2014م	447
209	أبو عمر أحمد بن حربون	د. عبدالله بن علي بن ثقفان	جمادى الأولى1435هـ/مارس2014م	448

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
210	المرجعية والمنهج دراسة نظرية تطبيقية	د. أحمد مرزاق	جمادى الآخرة1435هـ/آبريل2014م	449
211	اللغة الشاعرة	عباس محمود العقاد	رجب1435هـ/مايو2014م	450
212	ظاهرة التداخل الشعري في المصادر العربية	د. عبدالرزاق حويزي	شعبان1435هـ/يونيو2014م	451
213	رمضان ذاكرة الزمان والمكان	محمد رجب السامرائي	رمضان1435هـ/يوليو2014م	452
214	القدس الشريف في الاستشراق اليهودي	د محمد رضوان	شوال1435هـ/أغسطس 2014م	453
215	الإبداع والنبوغ	د محمد فتحي	ذوالقعدة1435هـ/سبتمبر2014م	454
216	الرحلة الى مكة المكرمة والمدينة المنورة (ج1)	أحمد محمود أبوزيد	ذو الحجة1435هـ/أكتوبر2014م	455
217	نصوص النقد الأدبي لدى حماد الراوية	د الحسين زروق	محرم 1436هـ/نوفمبر2014م	456
218	الحسن بن الهيثم ومآثره العلمية	د أحمد فؤاد باشا	صفر 1436هـ/ديسمبر2014م	457
219	النص الرقمي وإبدالات النقل المعرفي	د محمد مريتي	ربيع الأول 1436هـ/يناير2015م	458
220	المناخ والمجتمع	د عبدالهادي البياض	ربيع الآخر 1436هـ/فبرايرر2015م	459
221	الفنون الأدائية والمستقبل نحو ذاكرة الغناء السعودي	أحمد الواصل	جمادى الأولى 1436هـ/مارس2015م	460
222	الإنسان القروسطي	إبراهيم الحجري	جمادى الأخرة 1436هـ/ابريل2015م	461
223	الاسْتِغْرَاب: المَنْهَجُ فِي فَهْمِنا الغَرْب	د. علي النملة	رجب 1436هـ/ مايو 2015م	462
224	فن الترسل العربي قديما وحديثا	عبدالقادر بنعبدالله /عبدالحميد أسقال	شعبان 1436هـ/يونيو 2015م	463
225	أبو الطيب المتنبي	عباس العقاد	رمضان 1436هـ/ يوليو 2015م	464
226	الخيال وشعريات المتخيل	د.محمد الديهاجي	شوال 1436هـ/ أغسطس 2015م	465
227	فن التأويل	ترجمة: محمد احمد عثمان	ذو القعدة 1436هـ/ سبتمبر 2015م	466
228	الرحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة (ج2)	أحمد أبو زيد	ذو الحجة1436هـ/ أكتوبر 2015م	467
229	نظرات في الشعر العربي	أحمد بن سليمان اللهيب	محرم1437هـ/ نوفمبر 2015م	468
230	عدسة التاريخ	أسامة سليمان الفليّح	صفر 1437 هـ - ديسمبر 2015	469

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
231	مقاربات علمية للمقاصد الشرعية	د. أحمد فؤاد باشا	ربيع الأول 1437 هـ - ديسمبر 2015	470
232	وفيات 2015	هاني الحجي	ربيع الآخر 1437 هـ - يناير 2016	471
233	أحمد مشاري العدواني من الأزهر الشريف إلى ريادة التنوير	حمد عبدالمحسن الحمد	جمادى الأولى 1437 هـ - فبراير 2016	472
234	مساجلات نقدية في الثقافة العربية المعاصرة	محمد القاضي	جمادى الآخرة 1437 هـ - مارس 2016	473
235	الشيخ الرئيس أبوعلي ابن سينا (توثيق ببليوجرافي)	د. أمين سليمان سيدو	رجب 1437 هـ - أبريل 2016	474
236	لغات جنوب الجزيرة العربية	عبدالرزاق القوسي	شعبان 1437 هـ - مايو 2016	475
237	شهر لا مثيل له	علاء الدين حسن	رمضان 1437 هـ - يوليو 2016	476
238	الجذور التاريخية لأدب الأطفال عند العرب	د. محمود إسماعيل آل عمار	شوال 1437 هـ - يوليو 2016	477

الهدف المركزي من هـذا الكتاب هو إعـداد تأريـخ إجمالي للترجمـة بما هي ممارسة كونية وذات طابع دينامي عبرت العصور إلينا وما زالت تنهض بدورها في تحقيق التواصل وتناقـل المعرفة، وكذلك استهـداف المسار النظري الـذي واكبها منذ لحظة الإرهاص إلى لحظة التبلور.

ولهذا فبوسـع هذا البحـث أن يمكن القارئ العربي من تكوين فكرة اشتمالية عن المسار التاريخي الذي قطعته الترجمة بوصفها ضرورة حضارية وتواصلية، وفي الوقت نفسـه يتيـح له الاطـلاع بطريقة متدرجة وسلسـة على عصارة النظريات الترجمية التي انبثقت في هذا الطرف أو ذاك من العالم، ويضـع أمامه صورة عن السـياقات والظرفيـات السوسـيوثقافية التي كانـت وراء إنتـاج أهم التصـورات بخصـوص الترجمة. أما القيمة النوعية المضافة لهذا العمل الأكاديمي فهي اتخاذ المقاربـة التاريخيـة معـبراً إلـى اجتراح مقاربة نظرية وصـفية تأخذ على عاتقها الجواب عن سؤال مركزي هو: كيف يكون التاريخ مُنجباً للنظريات؟